

مسرح الغرفة

تأليف : چان تارديو
ترجمة وتقديم د . حمادة إبراهيم
مركز اللغات والترجمة باكاديمية الفنون

تصميم وتنفيذ : آمال صفــوت الألفــى
مطابع هيئة الآثار المصرية

ترجمة الكتاب عن :

JEAN TARDIEU

Théâtre de chambre

NOUVELLE ÉDITION
REVUE ET AUGMENTÉE

nrf

GALLIMARD

كلمة وزير الثقافة

فى تصورى أن قصور أداء أى مؤسسة فنية / ثقافية يجلب على المجتمع ما يسمى «بالديون الاجتماعية» ، بمعنى اهمال الاستثمار فى التنمية البشرية ، فالحياة البشرية تجد مبرر وجودها فى الإبداع ، وكلما ازداد الإبداع غنًى كلما كان الفرح أعمق ... والتكرار تسمم يقتل فرحة الحياة ... والمجتمعات قامت من أجل نموها لا لشيئ آخر .

الأمر يتعلق بمحاولة اغناء المكان الداخلى الذى تقوم فيه نفوسنا ، والثقافة والفن لا يمكن لنظرة جادة لتنمية مجتمع أن تغفلهما .

ان فرحتنا بالدورة الخامسة لمهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى هى فرحة تقديم شيئ جديد الى العالم ، مجموعة ابداعات من شتى بلاد الدنيا تتابع على مسارح القاهرة ، حيث يستمر فى كل لحظة لدى الجماهير دعم الحيوية وتنمية الذات ، فتزداد الثروة الانسانية وتعلن الفرحة بأن الحياة قد كسبت نصرا جديدا ، ذلك أنه حين يوجد الإبداع توجد الفرحة بالحياة .

فاروق حسنى



كلمة رئيس المهرجان

من مكونات الشرط التاريخى أن الماضى حاضر فينا شئنا أم أبينا ، وأن كل مُبدع هو جواب عن الإبداعات السابقة ، مستوعبا اياها ، منطلقا منها فى مراجعته لفعل الوجود الانسانى ليصوغ الأسئلة ويجتهد فى الاجابة عنها ، دون أن يسقط فى هيمنة من سبق .

لذا فنحن نغامر باستدعاء كل تلك الابداعات الجديدة من كل الدنيا ، لا لنستنسخها ، بل لنتأمل ما يتعدى الحدود ، ولنبدأ طريقاً جديدا فى التعامل مع العالم من حولنا ، اننا نوسع تلك الابداعات ونغنيها ونتمثلها ، ونغنى بها فى الوقت ذاته حقل الابداع فى المسرح المصرى ، ليصل إلى نتائج جديدة ، ويكتشف لغة جديدة ورؤية جديدة فى الوجود ، ويغير لغة الجسم فى الفن . اننا فى الفن خاصة نحتاج دائما إلى «المعرفة» ، وأيضا إلى ذات «عارفة» ، فى مقابل «معرفة» العقول الآلية الحافظة المبرمجة والتى «لا ذات بشرية» لها .

نحن نؤمن أن من لا يتقدم يتراجع ، وخيارنا المبدئى هو التقدم ، وعلينا أن نشحذ كل قوى الابداع ونتجاوز الوهم والمأزق معاً .

أ.د. / فوزى فهمى

مقدمة بقلم المترجم

كان مولد «چان تارديو» عام ١٩٠٣ ، أى قبل كل من بيكيت وآداموف وچينيه ويونسكو [١] الذين يمثلون رباعى مسرح الطليعة أو اللامعقول أو مسرح العبث الذى غزا مسارح العالم منذ مطلع النصف الثانى من هذا القرن .

وكما كان سابقا فى المولد ، كان تارديو ، وهو الأهم ، سابقا فى الإنتاج على جميع هؤلاء الرواد . فهو يعدّ بحق ، وبشهادة النقاد رائدا للرواد .

ولقد صدرت الكتب العديدة باللغة الفرنسية التى تناولت«چان تارديو» بالدراسة والنقد ، إلا أن كل ذلك لم يوفّه حقه من التعريف ومن الإنتشار وبخاصة فى مجال المسرح ، لأن «تارديو» ليس كاتبا مسرحيا وحسب ، بل هو شاعر مبدع وناقد فنى ومسرحى متميز .

ونستطيع أن نؤكد ، أنه حتى كتابة هذه السطور ، لم يطلع القارئ العربى على عمل مسرحى أو نقدى أو حتى قصيدة شعرية من الإنتاج المتنوع لهذا الكاتب مع ما تتميز به بعض أعماله الإبداعية من القصر ، بحيث إن بعض مسرحياته لا تتجاوز الصفحات المعدودات ، وبالرغم من أنه بَدأ ينشر منذ عام ١٩٤٧ . يستثنى من هذا الحكم بعض الأعمال القليلة التى قدمناها من خلال البرنامج الثانى فى الاذاعة نذكر منها مسرحية «شباك التذاكر» .

هذا الاستثناء لا يمنع أن الأمر يتعلق بتقديم كاتب جديد على العالم العربى ، وهى مسئولية يزيد من خطورتها أن الكاتب الذى نتصدى له كاتب مبدع مجدد بكل ما تحمل الكلمة من أبعاد وبخاصة فى مجال المسرح ، فهو لا يعترف بالمسرح التقليدى ، بل هو يجد متعة كبرى فى تعرية قوانين المسرح التقليدية والهزء بها ، فهو ، إذا جاز هذا التعبير ، يسخّر فن المسرح لهدم القوالب المسرحية العتيقة .

وإذا كان مثل هذا الموقف من المسرح التقليدى قد اشتهر عن كاتب آخر هويونسكو فان مؤلف المغنية الصلعاء حينما سار قدما فى الكتابة وخطا فيها خطوات واسعة إعترف من خلال انتاجه بنوع من التوازن أو الموازنة بين القديم والحديث ، إلا أن «جان تارديو» لم يتزحزح قيد أنملة عن المطالبة بكامل الحرية للكاتب المسرحى فى التخلص من كل آثار الماضى البائد بأعرافه وتقاليده .

ومن ناحية أخرى فإن إدراج اسم «تارديو» ضمن كتاب العبث أو اللامعقول لم يكن إلا نوعاً من التيسير على النقد والنقاد . ذلك أن تارديو لم يقبل الإنتساب إلى هذه الموجة ، أو لم يذعن لذلك بمعنى أصح إلاّ نوعاً من باب التحوّط ، وذلك لكى يكسر جدار العزلة من جهة ، ثم لكى يساند موجة الحداثة والتجديد فى المسرح الفرنسى خاصة والمسرح العالمى بوجه عام .

حداثة إذن فيما يختص بالمسرح التقليدى ، ثم حداثة أيضا فيما يختص بالمسرح المعاصر . هذه الازدواجية فى الحداثة تضع الناقد فى طريق مسدود إذا أراد أن يطبق على «تارديو» المقاييس التقليدية الشكلية أو حتى المقاييس المعاصرة التى أصبحت معروفة منذ سنوات عديدة . ومما يضاعف من مهمة الناقد أن «تارديو» لا يقترح طريقا ثالثة للمسرح بقدر ما يقترح سلسلة من الأتجاهات المختلفة المتنوعة . زيادة على ذلك فهو يفرض على الناقد الذى يتصدى له أن يتابعه ويقتفى أثره فى مختلف المراحل التى تمر بها عملياته الجريئة وابداعاته التى لم تكن فى حسبان الناقد .

يضاف إلى ذلك كله أنه ما أن يبدأ الناقد عمله حتى يفاجأ بأنه أمام أستاذ فى النقد الفنى والمسرحى له من الآراء والتحليلات ما هو جدير بأن يثبّط همة الناقد ويقعده عن المتابعة .

كما أنه من العسير أن يقْدم الناقد على تحليل «تارديو» عن طريق الشرح والتفسير الذى يفسد كل شئ جريا على أبيات «ڤاليرى» الشهيرة:

«إن التوضيح يفسد ثلاثة أرباع المتعة الفنية ، خاصة فى مجال البنية العضوية والشعرية للعرض المسرحى»

ويزيد مهمة الناقد عسرا أنه لا يجد أمامه أعمالا ضخمة يصول فيها ويجول وإنما يصـ ـف إنتاجا مسرحيا غاية فى التقشف من ناحية الوسائل الفنية وأدوات التعبير .

وأخيرا هناك حقيقة مهمة تزيد من حيرة الناقد خاصة إذا أراد الإعتماد على العروض المسرحية وطرائق إخراجها . فهو لا يستطيع أن يحصر عروض مسرحيات «تارديو» فى عدد محدد من البلدان عن طريق فرق محترفة ، ذلك لأن من المستحيل ، على الأقل فى الوقت الحاضر ، حصر الفرق المسرحية التى قدمت عروضا لمسرحيات «تارديو» فى العالم ، فهى كثيرة ، وكثير منها تم دون علم المؤلف نفسه . وكثير من هذا الكثير قامت به فرق من الهواة شجعها على ذلك نوعية الأعمال التى يكتبها «تارديو» ، ثم بساطة التكاليف اللازمة لعروضها على المسرح .

يأتى بعد ذلك كله صعوبة الصعوبات وهى الترجمة ، وبخاصة للمسرحيات التى تعالج أساليب بلاغية خاصة باللغة الأم وهى الفرنسية ، أو تعتمد فكرتها على أستعمالات اللغة الدارجة التى تفقد قيمتها بالترجمة .

بالرغم من كل ما تقدم وجدنا أنه لابد من خوض هذه التجربة . وقد شجعنا على ذلك المسئولون قبل أن يتكرر ما حدث مع أعمال «الفريد جاى» (٢) التى لم تترجم إلى العربية إلا بعد مرور قرن من الزمان على الطبعة الفرنسية .

هذه المقدمة كانت ضرورية لنضع القارئ أمام ضخامة هذه الأعمال التى يقرأها بالعربية لأول مرة ، وأيضا ليجد لنا العذر إذا كانت العمومية هى التى آثرناها فى تقديم هذا الكاتب لأول مرة .

النشأة الفنية : بين التصوير والموسيقى :

ولد «جان تارديو» كما أشرنا فى نوفمبر عام ١٩٠٣ ، قبل كل من بيكيت ويونسكو وجينيه وآداموف ، من أب مصور وأم موسيقية . كانت سنوات عمره الأولى كما يقول بنفسه «فترة متميزة تبشر بكل شئ» . فماذا سيصبح فى مستقبل حياته ؟ هل سيصبح موسيقيا مثل أمه ؟

أم مصورا مثل أبيه ؟ كان من الطبيعى أن والديه كانا موهوبين كل فى تخصصه . كان أبوه ، خريج مدرسة الفنون الجميلة ، قد ذاع صيته بوصفه مصورا ومهندسا للديكور . وقد قام بتأسيس مدرسة الفنون الجميلة فى مدينة «هانوى» حيث ظل هناك حتى وافته المنية . وقد عرف عن الابن چان أنه كان مفتونا بوالده . وقد صرّح بذلك بنفسه مؤخرا فى مناسبة إقامة معرض للوحات والده حيث يقول :

«إن افتتانى بفن التصوير يرجع إلى سنوات عمرى الأولى . حينما كنت أشاهد والدى يصور ويرسم . كنت أعتقد أننى أشاهد معجزة تتحقق أمام عينى . كان القلم أو الريشة يبدوان كأنهما يفجّران الصور التى كانت تبدو كأنها موجودة مسبقا فوق اللوحة البيضاء . كأن ظهورها الغامض فى بادئ الأمر والذى يتضح بعد ذلك شيئا فشيئا ، لا علاقة بينه وبين حركات اليد التى ترسم . كأن هذه اليد لم تفعل شيئا إلا أنها أخرجت هذه الصور من العدم بعملية سحرية .(٣)

وهكذا فقد كان «چان تارديو» متأثرا إلى حد بعيد بوالده الذى علّمه «الحقيقة المختفية لفن التصوير» (٤) .

أما عن والدة تارديو ، (كارولين لويدچينى) فقد كانت من أصل إيطالى ، تنحدر من أسرة موسيقية معروفة . إنتقل جدها الأكبر للأقامة فى فرنسا عام ١٩٤٠ ، وقد أهتم بتنشئة أبنه تنشئة موسيقية ، فأصبح فى عام ١٨٨٠ قائد أوركسترا ومؤلفا موسيقيا كبيرا ، نذكر من بين مؤلفاته «الباليه المصرى» الذى كتبه إفتتاحية لأوبرا عايدة التى وضعها الموسيقار «ڤيردى» بمناسبة افتتاح قناة السويس وقد لاقت هذه الإفتتاحية نجاحا كبيرا ، بعد ذلك تم تعيينه مديرا لأوبرا ليون عام ١٨٧٠ ثم تولى إدارة فرقة «الأوبرا كوميك» فى باريس . أما إبنته «كارولين» والدة كاتبنا تارديو ، فقد أصبحت أستاذة متخصصة فى القيثارة أو آلة «الهارب» ثم شغلت أثناء الحرب وظيفة محترمة بمعهد الكنسرفاتوار فى باريس .

وهكذا عاش «تارديو» على حد تعبيره من سن العاشرة حتى الرابعة عشرة من عمره «غارقا فى الموسيقى» وقد تعلم السولفيج والبيانو .

غير أن عصبية أمه بسبب إرهاقها فى العمل ، وغياب والده ، حالا دون تقدمه فى تعلم هذا الفن الأثير إلى نفسه واستمراره فيه .

الشعر والمسرح :

وهاهوذا «تارديو» فى مفترق الطرق ، وعليه أن يحدد هدفه فى الحياة . إن بمقدوره أن ينافس أمه أو أباه ويكون اسما وشهرة فى عالم الموسيقى أو فى عالم التصوير . ولكنه أراد أن يصعد نجمه محتفظا بشخصيته على حد تعبير المؤرخ ميشليه Michelet وهو كاتب أثير إلى قلب تارديو . لذلك اختار كاتبنا طريقا ثالثا غير الموسيقى والتصوير . لقد كان الأدب ، وبنوع خاص الشعر والمسرح ، هو المجال الذى يستطيع فيه أن يحقق ذاته ويتغلب فيه فى الوقت نفسه على الطغيان الفنى الذى يمارسه الوالدان كل فى مجال تخصصه.

يقول «تارديو» فى تحليل تلك الفترة من حياته :

«منذ تلك الفترة البعيدة ، كنت أشعر بنوع من الغيرة العاطفية تجاه أسرار التصوير وسلطان الموسيقى ، هذين الفنيْن اللذين كانا يبدوان لى وكأنهما حكر مقصور على والدى ووالدتى . كان هذان السحران أليفين إلى نفسى غريبين عنها فى وقت واحد .وكان علىّ أن أبحث لى عن ثالث يكون ميدانى أنا ، فوجدت أمامى اللغة والباب الثالث إلى المعجزة ، الملاذ الثالث ضد الرمادية والرتابة» (٥) .

ولم يصادف كاتبنا أى اعتراض فى الأسرة . فقد كان أبواه أيضا قارئين ممتازيِن ولهما مكتبة أدبية ضخمة .وكانت «الكلمة» تفتن تارديو ، مع أنها كانت فى نظره أقل حظْوة من الصوت (الموسيقى) ومن اللمسة المضيئة (التصوير) وهما أداتا التعبير عند والده ووالدته .

لقد تفتحت عند «تارديو» موهبة الكتابة المسرحية مبكرا ، حيث كتب أول محاولة مسرحية له فى سن الثانية عشرة على غرار مسرحية موليير المعروفة «طبيب رغم أنفه» وذلك فى شكل بعض الحوادث التى أسماها «المعلم رغم أنفه» . كما أنه كتب الشعر فى سنى مراهقته . ومع ذلك لم يحاول أن ينشر شيئا قبل عام ١٩٣٣ ، حيث أصدر ديوانا بعنوان «النهر المختفى» (٦) أتبعه بآخر بعنوان «رؤى من المدينة» (٧) ، وذلك فى ذكرى وفاة والده فى صيف عام ١٩٣٧/١٩٣٨ . ثم نشر ديوانا ثالثا بعنوانِ «الآلهة المختنقة» (٨) عام ١٩٤٦ بعد تحرير فرنسا . وكان قبل ذلك قد كتب ديوانين «رعْد بلا عاصفة أو الآلهة العقيمة» (٩) و«الأشجار والرجال» (١٠) وهى مجموعة من الحوادث الشعرية ضمنها فيما بعد الجزء الثانى من أعماله المسرحية بعنوان «قصائد للتمثيل» .

وبذلك بدأ «تارديو» يتوجه ولو بطيئا نحو المسرح . وقد تأكد ذلك عندما شرع فى عام ١٩٤٤ يعد قصة «ڤولتير» الشهيرة «كانديد» إعدادا دراميا للأذاعة ، كما وافق على أن يتولى تحرير باب المسرح فى الجريدة اليومية «العمل» وكان قبل ذلك قد لمع بوصفه ناقدا فنيا حينما كتب دراسة بارعة عن المصور «بوسان» (١٢) عام ١٩٤١ .

بعد ذلك بدأ يتعاون مع جريدة «الآداب الفرنسية» (١٣) وجريدة «شرف الشعراء» (١٤) كما صار صديقا حميما لكل من الشاعرين إيلووار (١٥) واراجون (١٦) والكاتب ألبيركامو (١٧) ولم يلبث أن عرض عليه منصب رئيس فرع الدراما بالإذاعة ذلك المنصب الذى ظل يشغله عاما كاملا ثم أصبح مديرا لنادى التجارب (١٨) ومركز الدراسات (١٩) فى هيئة الإذاعة والتليفزيون الفرنسية ، وأخيرا قام بتأسيس وإدارة البرامج الإذاعية فى محطة موسيقى فرنسا(٢٠) .

وفى عام ١٩٤٦ نشر «تارديو» كتابا بعنوان «شيطان اللاواقع» (٢١) وفيه يتساءل «تارديو» عن الفراغ المسرحى والمجال المسرحى اللذين سيحاول أن يبنى فيهما الحياة فيما بعد من خلال مسرحياته . كما يعرض فى هذا الكتاب لفكرة الأرقام ، ويعبر عن إفتتانه بها . وهو ما سيمثل فيما بعد الموضوع الرئيسى لمسرحيته الشهيرة «ألف باءحياتنا» (٢٢) كذلك نجد فى الكتاب قصيدتين تعدان أول خطوة نحو مسرح موسيقى ونحو شكل مبدئى للقصيدة الدرامية بعنوان «الآلهة العقيمة» (٢٣) التى سبق ذكرها .

وفى عام ١٩٤٧ تأكد أن «تارديو» مستعد لخوض معركة المسرح ، فقد كتب فى ذلك العام مسرحياته القصيرة الأولى التى استهل بها مجموعته «مسرح الغرفة» (٢٤) أو المسرح التجريبى : (من هناك ؟ (٢٥) الأدب العقيم (٢٦)) واكملها عام ١٩٤٨ بـ «قدس الليل» (٢٧) ومنذ ذلك الوقت كرس «تارديو» جل اهتمامه للمسرح ، فقد كتب «الأستاذ أنا» (٢٨) عام ١٩٥٠ ، وكلمة مكان كلمة (٢٩) التى حققت نجاحا كبيرا عام ١٩٥١ ، وفى العام نفسه كتب مسرحية «أوزوالد وزينابيد» (٣٠) ومنذ عام ١٩٥١ عرض له المخرج «ميشيل رى» المسرحيات التالية : فاوست ويوريك (٣١) ، يوجد جمهور غفير فى القصر (٣٢) ، حركة مكان حركة (٣٣) وهى من المسرحيات الهزلية التى تشكل مجموعة مسرح الغرفة .

وفى العام التالى وبالتحديد فى ٢٢ ابريل قدم مسرح لانكرى (Lancry) أول مسرحية طويلة لجان تارديو وهى مسرحية «عشاق المترو» (٣٤) . وفى نوفمبر قدم مسرحية بعنوان «هم فقط يعرفون الموضوع» (٣٥) وفى عام ١٩٥٥ قدم «تارديو» مسرحية موسيقية على

مسرح الهوشيت بعنوان «السوناتا والرجال الثلاثة» (٣٦) ومسرحية «المتراس» (٣٧) وقد أكمل هذان النصان مجموعة مسرح الغرفة التى أصدرها الناشر جاليمار آخر العام نفسه . بعد ذلك عرض مسرحية «عصور الكلمة» (٣٨) وهى المسرحية الكبيرة الثانية فى مجموعة قصائد التمثيل . وفى عام ١٩٥٦ عرض على مسرح الهوشيت مسرحية «صوت بلا إنسان» (٣٩) بعد ذلك بعامين كتب «تارديو» مسرحيته الكبرى «ألف باء حياتنا» (٤٠) التى لم تعرض إلا فى عام ١٩٥٩ على مسرح الأليانس فرنسيز .

بعد هذا العقد الغزير بالأنتاج المسرحى ، عاد «تارديو» إلى هوايته القديمة بالنقد الفنى فنشر فى عام ١٩٦٠ كتابا بعنوان «حول التصوير التجريدى» (٤١) وفيه يجلّى بعض آرائه فى فن الكتابة المسرحية ، كما نشر مجموعة من الدراسات التى جمعها بعد ذلك فى كتاب آخر بعنوان «أبواب اللوحة» ، (٤٢) وقد كتب فى تلك الأثناء التى أهتم خلالها بالتصوير كوميديا بعنوان «ثلاثة شخوص داخلون فى لوحات» (٤٣) .

ومنذ أن ترك «تارديو» وظيفته فى هيئة الإذاعة والتليفزيون عام ١٩٦٩ أصبح لديه الوقت لإعادة النظر فى أنتاجه وإثرائه .

ففى عام ١٩٧٢ نشر مجموعة من المقالات الفنية بعنوان «نصيب الظل» (٤٤) ثم «ظلمة النهار» (٤٥) عام ١٩٧٤ .

وفى عام ١٩٧٥ صدر الجزء الثالث من مسرحياته بعنوان «سهرة فى الريف» أو الكلمة والصراخ (٤٦) .

أما الجزء الرابع فكان بعنوان «مدينة بلا نعاس ومسرحيات أخرى» ١٩٨٤ .

المسرح التجريبى :

يُعد «تارديو» متخصصا فى المسرحيات الطليعية ذات الفصل الواحد . وقد أسهم مسرحه فى مولد المسرح الطليعى كما قدمت مسرحياته على مسارح العالم التجريبية .

والحقيقة أن مسرح «تارديو» فى معظمه من النوع التجريبى أو المختبرى ، وهو نفسه يعلق على هذه الحقيقة فى تقديمه لمسرحياته محددا هدفه من ولوج هذا الفن بأنه : «معالجة

المسرح من خلال وسائله ، لا من خلال أغراضه وأهدافه، و «الاهتمام بقضايا المنصة أكثر من الاهتمام بموضوعات المسرحيات، .

وقد حاول «تارديو» فى البداية أن يصنف هذه المحاولات وهذه التجارب تصنيفا فنويا مثل «كوميديا اللغة»، و «كوميديا الكوميديا»، و «المونولوجات والحوارات»، و «الحلم والكابوس»، وذلك مع إعطاء كل مسرحية عنوانا ثانويا مثل «تعسف الألفاظ»، و «تعسف الاستخدامات»، و «كوميديا الدراما البرجوازية»، و «المنصة الخالية»، و «رقصة الموت» .

ويقول تارديو فى هذا الصدد : « لقد حاولت بهذه البحوث أن أكشف عن أسرار ذلك الجهاز الضخم ، المادى والمعنوى ، الذى يسمى المسرح فى أشكاله البالية وامكانياته المستقبلية، .

وكان ميل تارديو إلى المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد أمرا طبيعيا ، فهذه المسرحيات هى التى تتلاءم مع هذه الأهداف التجريبية .

كذلك يعد «تارديو» مؤسسا للمسرح التجريبى الاذاعى . وقد كان له دور كبير فى تطوير الوسائل الفنية الخاصة بالدراما الصوتية أو التى يعتمد فيها التلقى على عنصر السماع دون عنصر المشاهدة .

وبصفة عامة تنقسم مسرحيات «تارديو» إلى نوعين : «مسرحيات السخرية»، و «مسرحيات الجزع» . أما الأولى فهى تسخر من مواقف الحياة اليومية كما فى مسرحية «شركة أبوللو أو كيف نتحدث عن الفن» (٤٧) ومسرحية «عشاق المترو» (٣٤) وأغلب هذا النوع من المسرحيات يهدف إلى السخرية من أشكال المسرح التقليدى ومكوناته مثل الحوار المصنوع والتجنيبات أو التحدث على إنفراد ، والمسرح الواقعى حيث الشخوص تتحدث فيما بينها ولا تهتم بالمشاهدين الذين لايعرفون بالضبط عما يتحدثون كما يحدث فى مسرحية «هم وحدهم يعرفون الموضوع» (٣٥) .

أما النوع الثانى من مسرحيات «تارديو» والتى أطلق عليها «مسرحيات الجزع» فهى تكشف من خلال حادث عارض مضحك فى ظاهره عن وضع الإنسان المزرى فى عالم يعتقد أنه لم يخلق له . ويشيع فى هذه المسرحيات نوع من عقدة الذنب يشعر بها الإنسان دون سبب واضح . كما يحدث فى مسرحية «السيد أنا» (٢٨) ومسرحية «شباك التذاكر» أو يسود أحساس بوجود عدو لا يرحم ولا يتورع عن قتل من يصادفه مثل مسرحية «من هناك»(٢٥) . . ومسرحية «قطعة الأثاث» (٤٨) .

والحقيقة أن الموت عند «تارديو» ليس النهاية التى ينتظرها أبطال «بيكيت» من الصعاليك لكى يرتاحوا من عبء الحياة ، بل هو نوع من الفناء أو الصمت الأخير الذى يتهددنا فى كل حين ولاسبيل إلى الإفلات منه . وهو فى ذلك يقترب من الموت عند «يونسكو» . فهذا البطل فى مسرحية «المتراس» (٣٧) يتلصص ليشاهد فتاة أحلامه من ثقب الباب وهى تتجرد من ملابسها قطعة قطعة ثم تنزع جلدها كله لتظهر فى النهاية فى صورة الموت مجسدا . ويبلغ الجزع ذروته حينما لا يحاول العاشق ان يهرب من هذا المشهد الفظيع ، وانما نسمعه يصيح مخاطبا الموت أو فتاة أحلامه قائلا « أنا قادم حالا يا امل حياتى ، يا غرامى الوحيد » .

أما مسرحية « صوت بلا انسان » (٣٩) فهى تذكرنا بمسرحيات بيكيت وبخاصة « الشريط الاخير » (٤٩) و « الرماد » (٥٠) . ففى مسرحية تارديو هذه تطالعنا منصة التمثيل خالية إلا من بعض الاضواء التى تتشكل وتتبدل ، وصوت بشرى يصلنا من خلفيات المسرح يدوى بذكريات الماضى.

هذا الجزع تنقله لنا مسرحية « معنى الكلام » (٥١) على الصعيد اللغوى . فهذا استاذ جامعى يحاضر فى موضوع التحولات اللغوية داخل الجماعات البشرية ويحاول ان يستعين باسطوانه مسجلة ليعرض نماذج من هذه التحولات على المستمعين . غير ان الاسطوانه لا تلبث أن تستقل بذاتها وتأخذ فى توجيه السباب والشتائم الى الأستاذ الذى لا يلبث هو نفسه ، وهو العالم اللغوى المتخصص ، أن يصاب بالسفسطة اللغوية التى كان يهاجمها قبل قليل فى محاضرته والتى اصبحت السمة الغالبة فى الاتصال والمفاهمة بين الناس ، إن لم تكن السمة الوحيدة . وهكذا ، فكما آلت الحياة الى الصمت تؤول اللغة إلى المصير نفسه .

إن اعمال « تارديو » المسرحية هى فى المقام الأول تجارب مسرحية كما أن بعضها يتضمن مستوى راقيا من الشاعرية . وليس فى هذا الحكم تقليل من مكانة هذا الكاتب الفنية وعطائه الضخم فى مجال المسرح المعاصر ، بل على العكس ، فان فى ذلك تاكيدا على ضخامة هذا العطاء . وفى ذلك يقول الناقد « مارتن أسلان » :

«لقد فتح تارديو الباب أمام زملائه من المسرحيين عن طريق إثراء مفردات هذا الفن . إنه الوحيد من بين جميع كتاب مسرح الطليعة الذى يستطيع أن يؤكد أنه طرق أكبر عدد من التجارب وورد أكبر قدر من الكشوف . إن مسرحه يجمع بين شاعرية «چورچ شحادة» وعبثية «يونسكو» الساخرة وعوالم «آداموف» و«چان جينيه» الكابوسية . (٥٢)

إن «چان تارديو» فى تنقله بين الشاعرية المرهفة والفكاهة المسرفة ، لا ينفك يدهشنا ويفاجئنا بحيله ووسائله المتعددة التى بالرغم من كثرتها وغزارتها إلا أننا نجد أنفسنا أمام إنسان واحد هو «چان تارديو» الذى يضحك أو يبكى من الكروب ذاتها ومن الأشجان ذاتها .

التنظير للمسرح :

كان التحاق تارديو للعمل فى تحرير باب المسرح فى الصحيفة اليومية (العمل) من سبتمبر عام ١٩٤٢ حتى يونيو ١٩٤٧ فترة مهمة فى تاريخ النقد المسرحى الذى كسب ناقدا يحمل زادا ضخما من الثقافة الفنية اللازمة لهذه المهمة من ناحية . كما أنه كاتب يتأهب ليفجر طاقات الإبداع عنده ، ذلك إذا أخذنا فى الإعتبار أن «تاردو» فى تلك الفترة المشار إليها ، إذا كان قد كتب بعض المحاولات المسرحية فإنه لم يكن عرضها بعد . من هنا جاءت أهمية المقالات التى كتبها فى تلك الفترة ، فهى لم تكن مجرد تقارير عن العروض المسرحية وإنما كانت دراسات وتحليلات وتأملات واعية يقوم بها كما أسلفنا إنسان يجمع بين الحس الفنى وملكة الإبداع .

والمتصفح لهذه المقالات يدرك أن كاتبنا لم يكن بصفة عامة راضيا عن الحركة المسرحية فى ذلك الوقت ، ويمكن أن نوجز مآخذه عليها فى النقاط التالية :

سجل تارديو رفضه للموجة التى كانت شائعة فى تلك الفترة عند عدد كبير من كتاب المسرح الذين دأبو على العودة إلى تراث الماضى وبخاصة التراث الأغريقى فيعيدون عرض المسرحيات أو الموضوعات الكبرى المشهورة ويكتبون على منوالها . ففى إحدى المقالات أعلن «تارديو» عن دهشته البالغة من ضخامة عدد المسرحيات الكلاسيكية أو ذات الموضوعات الكلاسيكية التى تم عرضها فى تلك الفترة . وقد سجل رفضه لمثل هذه العروض ، خاصة وأن المسرح يعانى من فصل تام بين نوعيات العروض المقدمة وبين واقع الناس المعاش ، وأن اللجوء إلى المسرحيات القديمة يزيد من حدة هذه الأزمة لأنها كلها عروض تقع أحداثها خارج نطاق العصر الذى نعيشه وخارج حدود المجتمع الذى نعايشه .

ورفض «تارديو» التعليل الذى يقول بأن اللجوء إلى مثل هذه الموضوعات القديمة هو بمثابة نوع من الهرب بالنسبة للكاتب والمتفرج ، معلنا أن المسرح فى جوهره هو نقيض

الهرب . فواجب المسرح أن يشغل الناس باهتماماتهم «وأن يجعلنا ننغمس فى حقيقة كياننا ، وكياننا ماثل فى عصرنا وزماننا»

ويرى «تارديو» أن المسرح الحق ، ينبغى أن يكون إنعكاسا للقوى الكبرى التى تتخذ من الإنسان مجالا لصراعاتها مع بقائها ملتصقة بالعصر . كما أخذ على هذه المسرحيات القديمة أو المقلّدة لها ضعفا فى المعطيات الدرامية ، كما عاب على شخوصها ما يسمهم من الجمود وعدم التطور .

ومن ناحية أخرى شجع «تارديو» على التجديد واطلاق الخيال ، وحيّا ما كان قد بدأه «چان چيردو» (٥٣) من تطوير عميق لفن المسرح . كما عبّر عن إعجابه بمسرحيات «سالاكرو»(٥٤) وأثنى على أثر «بيراندللو» (٥٥) فى المسرح الفرنسى وبخاصة مزج الواقع بالخيال والجد بالهزل وسبر أغوار النفس البشرية .

وكان لابد أن يهاجم «تارديو» المسارح التى لا تسعى إلاّ وراء الكسب المادى ضاربة عرض الحائط بالقيم الفنية وضروريات الحداثة والتجديد ، مما يجعل القائمين عليها لا يتورعون عن تسخير كل الوسائل الرخيصة لتّملق الغرائز الدنيا عند المتفرج الساذج .

أما الهدف الثانى الذى كان يسعى «تارديو» إلى تحقيقه فى عالم المسرح ، فهو امكانية خلق «تراچيديا جديدة» فقد ذكر هذه العبارة مرارا فى عدة مقالات . وجاء عرض مسرحية لوركا الشهيرة «بيت برناردا» (٥٦) فرصة أمام «تارديو» ليعبر عن إعجابه بهذه المسرحية وكاتبها ويشير إلى عودة ظهور الحتمية التراچيدية فى هذه المسرحية وتجاوز الواقيعية المقصورة سعيا وراء آفاق أرحب لسبّر عظمة الإنسان . كما أثنى فى هذا الصدد على المعطيات الدرامية فى هذه المسرحية .

وعلى صعيد اللغة المسرحية التى بدأت تشيع فى الأعمال المسرحية ، وبمناسبة عروض موسم ١٩٤٧ الذى شهد كلاّ من چيردو «بوللو مارساك» (٥٧) ، وچان چينيه «الخادمتان» (٥٨) وأودبيرتى «الشّريستشرى» (٥٩) حيّا «تارديو» عودة المسرح إلى «قوة اللغة» وسحر الكلمات . كما أثنى على تنقل هذا المسرح بين مستويات اللغة المختلفة ، فمن المادية إلى التجريدية ومن السوقية الى النبل على شاكلة التضاد فى فن التصوير .

وأخيرا يأتى دور الاخراج فى اهتمامات تارديو وطموحاته لبعث المسرح الفرنسى من حالة الركود التى كان عليها . فقد دعا الكتاب الى تسخير سائر الوسائل االتعبيرية فى المسرح

وجدد الدعوة إلى اعتناق آراء « أرتو » (٦٠) فى الاخراج واللجوء الى اللغات المسرحية غير الكلامية من حركة وايمـاء وغناء .

المسرح ضد المسرح :

ويبدو أن «تارديو» الكاتب المسرحى لم يستطع أن يتخلص من هواجسه وهمومه الخاصة بهذا الفن فقد أستمرت هذه الهواجس والهموم حتى بعد أن بدأ «تارديو» يكتب مسرحياته الأولى . كل مـا هناك أن النقد النظرى انتقل إلى خشبة المسرح نفسها ، عليها يعرض «تارديو» جزيئات هذا الجهاز الضخم وهو المسرح ويشرحه وينشر عيوبه ، وبخاصة ما يتعلق منها بالتقاليد المتوارثة العتيقة لهذا الفن وأعرافه البالية ، وبذلك جعل «تارديو» من خشبة المسرح سلاحاً لمحاربة المسرح التقليدى . ومن هذه العيوب التى جسدها «تارديو» على خشبة المسرح انتشار عادة استخدام التجنيبات فى المسرحيات والأسراف فى استخدام المونولوجات ، وقد خصص «تارديو» مسرحية كاملة للهجوم على الظاهرة الأولى «أوزوالد وزينايبد» (٦١) ، وأخرى للسخرية من الظاهرة الثانية «يوجد جمهور غفير فى القصر» (٦٢) .

د . حمادة إبراهيم

الهوامـش

1 - Beckett, (١٩٠٦), Adamov (١٩٠٨) Genet (١٩١٠), Ionesco (١٩١٢)

2 - Alfred Jarry (١٩٠٧ – ١٨٧٣), نشرت أعماله المسرحية سلسلة من المسرح العالمى الكويتى : الأعداد ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣

3 - Tardieu (Jean) , **Obscurité du Jour** ; Paris , SKira , 1974 .

4 - ------------------ المرجع السابق ص١٥

5 - ------------------ المرجع السابق ص١٩

6 - **Le Fleuve caché** ., Ed . Schiffrin , 1933 .

7 - **Visions Citadines** .

8 - **Les Dieux étouffés** . Seghers , 1946 .

9 - **Tonnerre sans orage ou Les Dieux inutiles** .

10 - **Des arbres et des hommes** .

11 - **Poèmes à jouer** , Paris , Gallimard , 1969 .

12 - Nicolas Poussin (١٠١٥م – ١٥٩٤ م).

13 - Lettres Françaises .

14 - L' Honneur des poètes .

15 - Paul Eluar (١٩٥٢م – ١٨٩٥م) .

16 - Louis Aragon (١٩٨٢م – ١٨٩٧م) .

17 - Albert Camus (١٩٦٠م – ١٩١٣م) .

18 - Club des Essais .

19 - Centres d ' Etudes .

20 - France - Musique .

21 - **Démon de L' irréalité** , Meuchâtel , Ides et Calendes , 1946 .

22 - **L ' A . B . C de notre vie** .

23 - **Les Dieux étouffés** .

24 - **Théâtre de Chambre** , Paris , Gallimard , 1966 .

25 - **Qui est là?**

26 -**La Politesse inutile** .

27 - **La Sacre de la nuit** .

28 - **Monsieur Moi .**

29 - **Un mot pour un autre** .

30 - **Oswald et Zénaïd** .

31 - **Faust et Yorik** .

32 - **Il y avait foule au manoir** .

33 - **Un geste pour un autre** .

34 - **Les Amants du métro** .

35 - **Eux seuls le savent** .

36 - **La Sonate et les trois Messieurs ou comment parler musique** .

37 - **La Serrure** .

38 - **Les Temps du verbe** .

39 - **Une voix Sans personne** .

40 - **L ' A .B . C de notre vie** .

41 - **De la peinture abstraite** , Lausane , Mermod , 1960 .

42 - **Les portes de la toile** , Paris , Gallimard , 1978 .

43 - **Trois personnes entrées dans des tableaux** .

44 - **La part de L' ombre , Paris , Gallimard , 1972** .

45 - **Obscurité du jour** , Paris , SKira , 1974 .

46 - **Une Soirée en Provence ou Le mot et le cri** .

47 - **La Société Apollon ou Comment Parler des arts** .

48 - **Le Meuble** .

49 - **La Dernière Bande** .

50 - **Cendres** .

51 - **Ce que Parler veut dire** .

52 - Esslin (Martin) , **Théâtre de l ' absurde** , Buchet/Chastel , Paris,1977.

53 - Giraudoux (Jean) (١٨٨٢م – ١٩٤٤م) .

54 - Salacroux (Armand) (١٨٩٩م –) .

55 - Pirandello (Luigi) (١٨٦٧م – ١٩٣٦م) .

56 - Lorca (Garcia) , **La Maison de Bernarda** .

57 - Giraudoux (Jean) **Apollo de Marsac** .

58 - Génet (Jean) , **Les Bonnes** .

59 - Audiberti (Jacques) , **Le Mal court** .

60 - Artaud (Antonin) (١٨٩٦م – ١٩٤٨م) .

61 - **Oswald et Zénaïde ou Les Apartés** .

62 - **Il y avait foule au manoir ou Les Monologues** .

مـن هنـــاك ؟

الأدب العقيـم

قدس الليــل

قطعة الأثاث

المتـــراس

شباك التذاكر

الســيد أنا

أوزوالد و زينايد

كان هناك جمهور غفير فى القصر

هم وحدهم يعرفون الموضوع

مــن هنــاك ؟

Qui est là ?

الشـــخوص

- الأب
- الأم
- الابـن
- المـرأة : شخصية تأتى من حيث لا ندرى .
- الرجـل : قاتل ينفذ أمرا .

المشهد يمثل حجرة خالية فارغة .

فى أقصاها باب ، إلى اليسار نافذة . الباب مقفل . النافذة مظلمة لأن الليل حالك فى الخارج . فى المقدمة ، إلى اليمين ، طاولة فوقها ثلاثة أطباق .

الأب (إلى اليسار) ، الأم (فى الوسط) ، الإبن (إلى اليمين) جالسون حول الطاولة . يغمر الحجرة ضوء معتدل ، يميل إلى الكآبة ، أشبه بالضوء فى قاعة انتظار فى محطة للسكة الحديدية .

من خلال بساطة الأداء الشديدة التى تثير الرعب تقريبا (لحظات الصمت وطرائق التنغيم التى تشبه تارة تلك التى نتحدث بها إلى طفل مريض ، وتارة تكون جادة للغاية بطيئة للغاية اللّهم إلا فى اللحظات المؤثرة) ، ينبغى على الشخوص ، وهذا شئ معروف لدى الأطباء النفسانيين ، أن توحى بأن كل ما يجرى «قد جرى مسبقا فى مكان ما» .

الأب (محولا رأسه نحو القاعة)

أنا الأب . وهذه زوجى ، وهذا ابنى . فى الخارج الليل بارد وطويل ، فنحن فى الشتاء ، ولكننا هنا يدفئ بعضنا بعضا ، ونحن نجلس حول هذه الطاولة لنكسر حدة الجوع بتبادل الأحاديث الودية .

(صمت)

(الأب يقوم وحده بتوجيه السؤال والإجابة ، فى حين تلزم الأم والابن الصمت وهما ثابتا النظرة)

ماذا فعلت صباح اليوم ؟ ذهبتُ إلى المدرسة . وأنتِ ؟ ذهبتُ إلى السوق . ماذا وجدت ؟ خضاراً أغلى من أمس ، ولحماً بسعر أفضل . أحسن . هذا يعوض ذاك . وأنت ، ماذا قال لك المعلم ؟ اننى اتقدم بسرعة . رحْ يا بنى . اعمل واجتهد وسترى ان التوفيق سيكون حليفك . آه ما أسعدنا ونحن مجتمعون معا ! ما أبرد الليل وأحلكه فى الخارج . فلنهنأ لأنه ليس هناك ما يدعونا للخروج ...

(امرأة تبزغ من مقدمة المنصة اليسرى وتنادى الأب الذى يسمع ويجيب دون أن يحول رأسه)

المــرأة

أيها الأب الطيب ، ينبغى عليك أن تأخذ حذرك ! ليس هناك إلا الليل فى الخارج .

الأب

ماذا تقصدين ؟

المــرأة

احذر ! احذر (خفيضا) أعتقد ان هناك إنسانا خلف الباب .

الأب

ماذا يفعل ؟

المــرأة

لست أدرى . إنه ينتظر .

الأب

ماذا ينتظر ؟

المــرأة

ربما ينتظرك أنت .

الأب

حسنا . سأذهب لأرى . (المرأة تختفى . الأب ينهض ، يتوجه نحو الباب ، يفتحه : رجل ضخم ، يرتدى زى السهرة لكنه عارى الرأس . واقف على العتبة .) ماذا تريد ؟ ... هل تريد أن تكلمنى ؟ اذن ، فادخل ! .. ماذا تريد أن تقول لى ؟

(فى صمت ، الرجل يقبض على الأب ويخنقه . على حين بغتة ، النافذة تفتح من تلقاء نفسها . الرجل يحمل الجثة فوق ظهره ويختفى من الباب . فى هذه الأثناء الأم والابن يحولان رأسيهما ناحية اليمين وهما يخفيان وجهيهما بايديهما ويمكثان فترة طويلة فى هذا الوضع . المرأة التى ترتدى السواد تعود إلى الظهور ناحية اليمين) .

المرأة (بعد أن اطلقت زفرة)

هكذا ! ما كان ينبغى أن يقع وقع ... فى الخارج ، الليل يقترب من نهايته . كفى عن البكاء أيتها الأم الطيبة وتوجهى نحو النافذة ! (الأم تنهض وتتوجه نحو النافذة .) ماذا ترين ؟ أجيبى ! يمكنك أن تتكلمى الآن .

الأم

الريف مغطى بالموتى .

المــرأة

والحى ؟

الأم

الحى مغطى بالزهور .

المــرأة

والشمس ، ماذا تفعل ؟

الأم

الشمس فى قاع كهف ، ولكن أشعتها الأولى بدأت تتخلل أحدى الفتحات ... (تطلق صرخة) آه ! ...

المرأة (بسرعة)

ماذا ترين ؟

الأم

أرى الأب ... هناك ... بين الموتى ...

المــرأة

ألم تكونى تعرفينه أيتها الزوجة المسكينة ؟

الأم

بلى ، ولكنه وسط رفاق كثيرين ..

المرأة (مخاطبة الابن)

أيها الابن ، توجه نحو النافذة وناد أباك .

(الابن ينهض ، يتوجه نحو النافذة وينادى ، فى حين تعود الأم إلى الجلوس)

الابــن

أبى ، أبى ! ... أبى ! ...

المــرأة

هل سمعك ؟

الابــن

نعم ! هاهو ذا ينهض ... يتخطّى الموتى الآخرين ... ويتقدم نحو البيت .

الأم

أسمع خطواته على الدرج ... إنه هو ... **(الأب وعليه هيبة الموت ، يظهر على عتبة الباب ، الذى ما يزال مفتوحا . الابن يسرع إليه صائحا : «أبى !» . الأم تدس وجهها لحظة بين يديها ، ثم تنهض . الأم ، فى مواجهة الجمهور ، دون أن تنظر إلى الأب .)** من قتلك ؟

الأب

لم يكن إنسانا .

الأم

من أنت ؟

الأب

أنا لست إنسانا .

الأم

من كنت ؟

الأب

لا أحد .

المــرأة

إذن أين الإنسان ؟

الأب

ليس فى أى واحد منا .

الأم

ومع ذلك ، أنا أتذكر : أنت كنت حيا ! ..

الأب

فى كل واحد منا . الإنسان مات . لم يصبح له وجود ، ليس له وجود ، أو لم يوجد بعد .

المـرأة

أين هو ؟

الأب

فلنبحث معا : ذات يوم ، بيننا ... سيكون .

(الأم والأب والابن يتوجهون فى بطء نحو الطاولة ويجلسون حولها .)

المـرأة

النافذة تضيئ ... (نور يلون بالفعل زجاج النافذة) شخص ما يقترب ... فلننتظر ! ....

(١٩٤٧)

سـتارة

* * *



الأدب العقيـــم
La Politesse inutile

الشخوص

- الأستاذ
- الطالب
- الزائر

(المشهد يمثل مكتب استاذ . فى أقصى المشهد إلى اليسار ممر صغير يفضى بانحراف إلى باب الدخول . فى المقدمة إلى اليمين منضدة صغيرة عليها كتب . كريسيان وثيران ، طائر أبو قردان محنط . وراء كل ذلك توجد مكتبة .

الأستاذ يصحب الطالب إلى الباب وهو يوجه إليه نصائحه وتوصياته الأخيرة . الطالب يحمل لفافة كتب تحت إبطه وغطاء رأسه فى يده ، ينصت وعليه سيماء الاحترام العميق) .

الأستاذ (بلهجة صارمة مفتعلة ملوحا بسبابته)

وعلى وجه الخصوص ، تذكر يا صديقى ، إن الذى يهم فى الامتحان ليس ما تعرفه ولا ما تفهمه ، وإنما المهم هو ما تكون ...

الطـالب

نعم ، يا دكتور .

الأسـتاذ

بالكائن ، وبالكائن وحده ، ستشق طريقك فى الحياة .

الطالب (بكل جدية واهتمام ومتلعثما)

نعم ، نعم ، بالتأكيد ، يا دكتور .

الأســتاذ

بل إننى أضيف إلى ذلك ما يلى : إذا لم تكن ، فليس بامكانك أن تزعم أن تصبح شيئا ، أى شئ .... (ثم فجأة ويغضبة خطابية) من أين أتتك الجرأة ، أيها الفتى المغرور على أن تتقدم إلى امتحان للحصول على دبلوم الدولة دون أن تكون قد تأكدت مسبقا من كيانك ، من وجودك ؟ من ذا الذى سيكون ضامنا لهويتك ، إن لم تكن أنت نفسك ؟ أجب عن هذا السؤال .

الطالب (مفزوعا)

هذا ... هذا ... هذا هو السؤال الذى أوجهه إلى نفس .

الأستاذ (برقة أبوية مما يدل على أن غضبه كان تمثيلا)

هيا ! إننى أرى أنك توجه إلى نفسك السؤال الجوهرى . هذه أول خطوة من عدم الرضى إلى الفضول ، ومن الفضول إلى البحث ، ومن البحث إلى خيبة الأمل ، ومن خيبة الأمل إلى الجزع ، و... (عذبا) من الجزع إلى اليأس . هيا ، يا صديقى أتمنى لك حظا سعيدا !

الطالب (بكل حرارة)

أوه ! شكرا جزيلا يا أستاذى العزيز : حقيقة ... كيف ... ولكن ... ماذا ... أقصد ... شكرا لكل ما ...

الأستاذ (يربت كتفه بتنازل وحنان)

أنا لم أفعل شيئا ، يا صديقى ... لم أفعل شيئا . كل ما هناك أننى أريد لك التوفيق والسداد فى مستقبلك العملى . وتذكر دائما هذه الحكمة : الكيان هو كرامة الانسان ، كما أن الإنسان هو كرامة الكيان (يقوده رلى االباب) هيا ، إلى اللقاء .

الطـالب

إلى اللقاء ، يا استاذى العزيز . (الأستاذ يفتح الباب ، الطالب يخرج ، وفى الظلمة يصطدم بشخص يدخل) أوه عفوا يا دكتور ، هذا زائر جاء يطلبكم .

الأستاذ (بعظمة)

أدْخِل الزائر !

(الطالب يبتعد ، يدخل رجل سوقى الهيئة ، يجمع بين التبسط والتعالى ، كأنه يفكر فى شئ آخر . قبعته تغطى اذنيه ويلعب بسلسلة مفاتيح . منذ هذه اللحظة نقرأ على وجه الأستاذ نوعا من التبعية القلقة حيال الزائر . ومع ذلك فهو يتظاهر بعدم الاهتمام واعتدال المزاج)

الأســتاذ

أهلا : تفضل . ها أنت ترانى سعيدا برويتك ... (فاركا يديه) كيف حالك ؟ (الزائر يلزم الصمت فى قحة ظاهرة ويتفحص الحجرة بلا اكتراث)

الأستاذ (أضعف من ذى قبل)

كنت أقول : كيف حالك ؟ ربما لم تسمعنى ؟

الزائر (رافعا كتفيه استخفافا)

سمعتك جيدا !

الأســتاذ

عظيم ، عظيم . إذن ، صحتك على ما يرام ، يسعدنى أن أعرف ذلك . وهكذا نستطيع أن نمضى وقتا ممتعا فى التحدث معا ... ولكن ، عفوا ، اجلس ... (الزائر يظل واقفا) لا ؟ ليكن ! كما تريد . لقد فهمت : لعلك قطعت مسافة طويلة وأنت جالس وتفضل تنشيط ساقيك بالوقوف ؟ عظيم ، عظيم . كما يروق لك . أما أنا ، فاسمح لى بالجلوس لأننى متعب من العمل طول النهار . (يجلس) نعم ، التدريس مهنة جميلة ، ولكنه متعب . أليس كذلك ؟ (منشرحا) المكافأة هى أن ترى نفسك محاطا بكل هذه البراعم الشابة المنطلقة ، المتدفقة المفعمة بالآمال والثقة فى المستقبل . المكافأة هى الاحترام الذى يكنه لك أفضل هؤلاء ، حتى اللّعابين منهم ، ثم ...

الزائر (مشيرا بأصبعه إلى رقبة الأستاذ)

ما هذا ؟

الأســتاذ

هَهْ ، بَهْ ، بَهْ ، ماذا هناك ؟

الزائر (متلفظا بالكاد وباحتقار)

رباط عنقك ... مقلوب .

الأستاذ (مُعدلا هيئته)

أوه ! عفوا ! سامحنى . كنت أتكلم ، أتكلم ولم ألاحظ أن ...

الزائر (بالطريقة نفسها)

سماح ... مؤقتا !

الأستاذ (مجتهدا فى الابتسام)

ثم ، أرجو أن تسامحنى إذا كنت أتحدث كثيرا عن نفسى ، أنا المخلوق الضعيف ! المفروض أن أسمع منك انطباعاتك ، وهل تروقك هذه المدينة ، وما تنوى عمله ... تكلم ، سأكون

سعيدا جدا بالاستماع إليك ... (الزائر ينظر فى الهواء وهو يصفر بأحد الألحان استخفافا وازدراء) لا يستطيع أن تدرك مدى اهتمامى بكل ما يخصك وما يتعلق بك . ولكن ، لعل التواضع هو الذى يمنعك من الكلام ؟ أجل ، الحياء ، حياء النفوس العزيزة ... ولكن أرجوك ، اعتبرنى صديقا لك وامنحنى هذا الشرف بأن تفضى إلى بجميع أسرارك .

الزائر (قاسيا)

ثرثرة لا تهمنى على الاطلاق !

الأستاذ (وقد بدأ يشعر بالضيق ولكنه يحاول أن يكون لطيفا)

أوه ! هكذا ! أنت الذى قلتها ! ... ولكننى قلتها لنفس : ربما كنت ترغب فى تناول شئ ، بسكوت ، مشروب ؟ سأنادى زوجتى ... (ينهض)

الزائر (فجأة منفرج الأسارير)

أنت لك زوجة ، أنت ! آه ، عجبا ! (يضحك بقسوة) آه ! آه ! زوجة ! آه ، لا ... شئ مضحك ...

الأستاذ (مستفزا للغاية ولكن يحاول ان يكون لطيفا)

طبعا ! لى زوجة . زوجة وفية ، لطيفة ، رقيـ ...

الزائر (جافا)

كفى ...

الأستاذ (فى اندفاعة عزة وكرامة)

من فضلك يا سيد ، ما هذه اللعبة التى تلعبها معى ؟ ما معنى موقفك هذا من رجل فى مثل مركزى ومكانتى ؟ (بشئ من الثقة) هل تعلم أنك أمام أستاذ جامعى له سمعته ، يحوطه تقدير زملائه واحترام طلابه ، وحب أفراد أسرته ؟ لقد بدأت أرى .

الزائر (ساخرا ومهددا وكأنما بدأ يهتم بالمحادثة)

آه ! بدأت ترى ؟

الأستاذ

بالضبط ، بدأت أرى أن موقفك فيه إهانة خطيرة لى . المهم ، ماذا تريد ؟

الزائر (مندفعا مرة واحدة نحو الأستاذ وناظرا فى عينيه)

تريد أن تعرف ؟

الأستاذ (مفزوعا ومتراجعا نحو اليسار)

نعم ، أجل ، أريد أن ...

الزائر (مهددا أكثر فأكثر)

تريد أن تعرف ، هه ؟ أذن ، خذ . (يكيل له ثلاث لطمات عنيفة أو أربع براحة يده وظهرها . الأستاذ ينهار فوق الأرض قالبا المنضدة الصغيرة والكتب . الزائر يستعيد هدوءه كأنه فرغ من أداء واجب صعب ولكنه ضرورى . ويتوجه ناحية الجمهور فى جدية تامة) لن أشرح لكم هذه القصة . ربما تكون قد وقعت بعيدا جدا من هنا ، فى أعماق ذكرى سيئة . إننى آت من هناك لكى أخطركم وأقنعكم . (بصوت خفيض وأصبعه على شفتيه) صه ! هس ! هناك شخص نائم ويمكن أن يسمعنى ... سأعود ... (يبتعد على أطراف أصابعه) ... غدا .

(١٩٤٧)

ســتارة

* * *

قـــدس الليـــل
Le Sacre de la nuit

et les livres. Le Visiteur reprenant son calme comme s'il venait d'accomplir un pénible mais nécessaire devoir et se tournant vers le public. Avec gravité.) Je ne vous expliquerai pas cette histoire. Sans dout a-t-elle eu lieu très loin d'un mauvais souvenir. C'est de là que je viens, pour vous avertir et vous convaincre. (A voix basse, un doigt sur les lèvres.) Chut ! Il y a quelqu'un qui dort et qui pourrait m'entendre... Jereviendrai... (Il s'éloigne sur la pointe des pieds.) ... demain .

(1947)

Rideau.

الشـخوص

- الرجل ، جالس
- المرأة ، واقفة

(المنـهد يمثل حـجرة خـالية ، غـارقة فى الظلمة . فى المقدمـة جـهة اليمين ، رجل جـالس . ينيره كشاف بنور أزرق . فى أقصى المنصة جـهة اليسار ، نافذة كبيرة مفتوحة على سماء ليلية ذات لمعان يميل إلى البياض ، تغطيها النجوم . بجانب هذه النافذة امرأة شابة فائقة الجمال تقف وتضع يدها على حافتها . انعكاس ضوء الليل المنير يحدد ويرسم هيكل المرأة . الشخصان يتحدثان بلهجة افتتان متصل يبلغ حد الهذيان .

لا يتحركان من مكانهما حتى النهاية . الرجل يتحدث مواجها الجمهور ، ولكنه يوجه حديثه إلى المرأة الشابة التى تصف له ما تراه فى الخارج) .

الرجـل

اذهبى إلى النافذة يا جميلتى ، يا حبيبتى ، وصفى لى ما تشاهدين .

المـرأة

ألمح نجماً فى المساء .

الرجـل

ألا ترين فعلا سوى نجم واحد ؟

المـرأة

الآن أرى نجما آخر ... بل نجوما عديدة ... بل فيضا من النجوم .

الرجـل

ألا ترين شيئا آخر تحت السماء ؟

المــرأة

لا شئ آخر ، يا صديقى .

الرجــل

حتى ولا سحابة ضئيلة ؟

المــرأة

حتى ولا سحابة ضئيلة .

الرجــل

حتى ولا روحا صغيرة خبيثة ، بنصف إنسان ونصف خفاش ؟

المــرأة

حتى ولا روحا صغيرة خبيثة .

الرجــل

ألا ترين شيئا فوق الأرض .

المــرأة

أرى بُسطا من الضوء ، وعلى الأشجار خيوطا من الفضة ، والماء الذى يتلألأ بين الأغصان ، والمنازل التى تبرق ، والطريق التى تمتد .

الرجــل

بين كل ذلك ألا ترين حتى ولا عربات قطارات مقنعة ، ولا فرقا تسير ، ولا بهائم بقرون منتصبة على أقدامها ، أقدام البشر ؟

المــرأة

لا شئ من ذلك ، يا صديقى : لا عربات ، ولا فرق ، ولا بهائم بقرون .

الرجــل

إذن ، فليعمّ العالمَ السلام ! اذن ، أحبّيتنى كما يحب هذا النور هذا الحقل !

المــرأة

أحبك كذلك ، يا حبيبى .

الرجــل

صعّدى نظرك نحو السماء ! أعطينى نورها فى صوتك ، فى كلماتك ..

المــرأة

انى أسمع ، يبدو لى ... يبدو لى أنى أسمع ...

الرجـل

ماذا تسمعين ؟

المـرأة

اسمع حفيف أوراق النجوم ، طيران بخار الماء ، أنفاس الهواء المحبوسة .

الرجـل

أنا اسمع نظرتك فى صوتك . لا أحتاج أن ألتفت أو أن أنظر . هذه النافذة تخصك . بواسطتك اعرف ما يجرى فى الخارج .

المـرأة

لا شئ آخر الا الزمن . الفضاء يحتويه وينيمه . وأنا اقدمهما لك بملء ذراعى .

الرجـل

علينا نحن أن نسهر ، أن نسهر بلا هوادة ولا خوف . علينا نحن أن نؤوى هذا الليل المعلق بشفاهنا . افتحى مرة أخرى عينيك من أجلى ، يا حبيبتى .

المـرأة

أنا أفتح عينى لكى ترى يا حبيبى ..

الرجـل

إرفعى نظرك يا حبيبتى .

المـرأة

أنا أرفع نظرى إلى أبعد مدى يمكن أن يصل اليه .

الرجـل

إنه يذهب إلى أبعد من نفسه . إنه يذهب إلى أبعد منك . بل إنه يذهب إلى أبعد من فكرى ، أو أحلامك إذا نمت .

المـرأة

أنا لا أنام ، أنا أسهر إلى جوارك .

الرجـل

أنت تسهرين حبا ، ونظرك يبلغ ما لا تستطيعين معرفته ، ما دام يغوص فى هذا الليل .

المـرأة

أنا أشعر براحة كبرى فى عينى وفوق جبينى ، ثم فى سائر جسدى .

الرجـل

إنه ليل الفضاء الذى يمتزج بنظرك .

المـرأة

قلبى يجلجل بفرحة مجهولة ، عالية وعميقة كالقبة .

الرجـل

إنه الفضاء الخالد الذى يهبط فى روحك ويفتح كل هذه النوافذ .

المـرأة

فى لم يعد يستطيع الكلام . روحى تغنى .

الرجـل

إنه القدس ! (صمت . مستأنفا بصوت خفيض) الآلهة والشياطين يلوذون بالفرار . أنت توحّدت مع الفضاء الليلى ، ودخلت فى وفاق مع براءة العالم . استمتعى فى هذا الحمام من النور ، من العسل ومن النضرة . عودى بمولدٍ جديدٍ بيضاء مزينة من أجل الحب ، على أجنحة الزمن الذى لا يتحرك ، خفيفة فى ليلى الذى يعبدك . تعالى !

(الرجل ينهض . المرأة والرجل يتقدمان بطيئا كل منهما نحو الآخر . حينما يبلغان منتصف المنصة ، يمسك كل منهما بيد صاحبه ويتوجهان بطيئا ناحية اليمين) .

المـرأة

أنا أصحبك على الطريق التى لا نهاية لها .

الرجـل

حينما يأتى النهار للقائنا ، تذكرى أن الليل قد منحنا سره !

(يختفيان)

(١٩٤٨)

ستارة

* * *

قطعــة الأثــاث

مسرحية من فصل واحد

Le Meuble



[قبل فتح الستارة ، يسمع لحن موسيقى لاهث من آلة أورغ بذراع ، لحن رقصة البولكا ، يحاول اللحن أن يكون معبرا عن البهجة ، ولكنه فى الواقع حزين مؤثر] .

[تفتح الستارة] .

[الجزء الذى يبدو من المنصة ينبغى أن يكون فى أضيق الحدود ، وذلك على سبيل المثال ، بعدم فتح الستارة بالكامل ، بحيث يبدو من المنصة نصفها فقط ، بل أقل من النصف . والمشهد يمثل قاعة ما خالية تماما] .

[عند فتح الستارة ، المخترع – وهو رجل عادى جدا – يكون جالسا فوق كرسى يقرأ صحيفة بلا تركيز ، وهو يدير أو يتظاهر بأنه يدير الذراع التى تشغّل الأورغ الموجود فى خلفيات المسرح جهة اليمين ، من آن لآخر يتثاءب ويحك رأسه أو ينظر فى ساعته ، يبدو أنه ينتظر شيئا أو شخصا] .

[يسمع جرس الباب . المخترع ينهض ، يضع صحيفته فوق الكرسى ، ويهرول ناحية الباحث جهة اليمين . يتظاهر بإيقاف ذراع الأورغ : تتوقف الموسيقى ثم يتجه ناحية اليسار . يختفى لحظات فى خلفيات المسرح ، ثم يظهر وحده ، ولكن وهو يتحدث إلى المشترى الذى سيظل خافيا عن الأنظار طوال المشهد على افتراض أنه جالس فى خلفيات المسرح جهة اليسار] .

ملحوظة :

[يمكن أيضا جعل المشترى يظهر على المنصة مع التزامه بالصمت . فيبقى مثلا جالسا جهة اليسار ، كأنما ينظر إلى الأورغ الموجود جهة اليمين . فى هذه الحالة ، وحتى اللحظة التى ينهار فيها بعد قتله بالمسدس ، كل ما يعمله هو التعليق بالحركة والايماءة فقط على ما يقوله المخترع من كلام منمق معسول ترويجا لبضاعته] .

(المخترع ، موجها كحديثه نحو خلفيات المسرح)

– آه ! أهلا وسهلا يا سيدى ! حضرتَ من أجل الأورغ ، لمشاهدة الأورغ ؟ .. تفضل بالدخول ، إنه هنا بالداخل ، أمامك بالضبط !

[حينما يعود إلى منتصف المنصة ، يشير بكل اغتباط إلى الأورغ المفروض أنه فى خلفيات المسرح لا يظهر للعيان] .

– هاك الأسطورة ! أليس جميلا ؟ ... أجل ، إننى أقرأ ما يعكسه على وجهك من أثر عظيم ... ثم هذا ما يحدث فى كل مرة . فهكذا دائما يكون رد الفعل عند جميع المشترين حينما يجدون أنفسهم على حين فجأة أمام هذا الأورغ . الأنفعال يجعلهم عاجزين عن الكلام ، كما يحدث معك الآن . ولكن أفق من دهشتك ، أرجوك .

– آه ، يا سيدى ، يا له من فخر ! يا له من فخر لى أنا مخترع هذا الجهاز . أجل ، يا له من فخر أن أرى هذا الجهاز الذى خرج من بنات أفكارى وصاغته يداى ، يشير الإعجاب إلى هذا الحد ! ... شكرا ، يا سيدى ، شكرا لك أيضا لآيات العجاب التى تبديها لى !

– لعلك تريد أن تسألنى كيف توصلت إلى تصميمه ؟ آه ، يا سيدى ، ما أيسر ذلك ، فأنا لا أزعم أننى صاحب الفكرة الأولى التى يقوم عليها . كلا ، كلا . إن مثل هذا الجهاز موجود منذ زمن بعيد وأنا لا أتردد فى اعلان ذلك . ففى القرن الثامن عشر كانوا يسمونه «روح شفنى اذا كنت موجودا» لقد شاهدت منه أجهزة رائعة الجمال تعود إلى ذلك العصر : بأرجل مستديرة إلى الداخل ، وأزرار للشحن .

– ان الفضل الذى يعود إلىّ – اذا كان ثمة فضل – هو أننى عدت إلى تلك لنماذج القديمة ، مع أنها كانت على درجة كبيرة من الكمال ، وجعلتها تتفق وذوق العصر الحاضر ، أنظر . هناك أعلى الجهاز ، هل ترى هذا الكورنيش الصغير من الجص المذهب ؟ قد يبدو بلا

أهمية ؟ .. حسنا . ومع ذلك ففيه يكمن السر كله ، سر مثل هذه الأجهزة : اذا نزع هذا الكورنيش من مكانه ، انهار الجهاز بالكامل وتعطل عن العمل . لأن هذا الكورنيش هو الختام والنهاية . وبالتالى فان كل ما يقع تحته تابع له مرتبط به ! بالضبط كالبناية ، الدور الخامس يرتبط بالدور السادس والرابع يرتبط بالخامس ، وهكذا حتى نصل إلى الدور الأرضى . هذا واضح .

.... أجل ، لقد بدأت هذا المشروع منذ خمسة وعشرين عاما بالضبط ! كم كلفنى من عمل متواصل وهموم وسهر ! لقد وضعت فيه كل علمى وخبرتى . وكل شبابى . جهاز كله علم وتجارب ، ممتلئ ، مفعم يكاد ينفجر . ولا فراغ فيه . ولاحظ أننى أبيعه بكل ما فيه . لذلك فأنا أطلب فيه ثمنا مجزيا ، أجل ، ذلك لأنه ليس جهازا فارغا ، أو جهازاً بلا روح كغيره من الأجهزة الكثيرة ، جهازاً ليس فى بطنه شيء ؛ كلا . ان جهازى هذا ملآن الى حافته يكاد يتفطر من الامتلاء !

أجل لابد من ثمن مناسب . طبعاً ؛ ما دمنا بصدد جهاز يقدم لك كل ماتطلب منه ، خذ واطلع على بيان الاستعمالات [يخرج من جيبه ورقة ويقدمها للمشترى] ... خذ أقرأ جميع الاستعمالات التى يمكن أن يؤديها ... قائمة لا تنتهى ... اقرأ بعناية ؛ ... هيــه ، ما رأيك ؟ أليس شيئاً مذهلاً ؟ فلنجرب ، ماذا تريد أن تطلب منه ؟ كيلو جمبرى ؟ قطعة موسيقية ؟ حل مسألة فى الجبر ؟ منظر طبيعى ؟ رشقة عطر ، استشارة قانونية ، ماذا تريد ؟ منفضة ؟

اجل . منفضة ! .. أنت متواضع !.. انتظر .. [يذهب ناحية الجهاز] انظر ... أنا أضغط على الأزرار م .. ن .. ف .. ض .. (أجل فقد قمت بتبسيط الرموز الكتابية) ... أستعدّ ، أضغط على مقبض «الأعمال المنزلية» ... ها هو ذا !

[فعلا ، بعد سماع فرقعة مدوّية تصدر من بكرات ولولبات ، وضجة من جراء انفصال أجزاء بعض الآلات المختلفة ، يخرج على حين فجأة من خلفيات المسرح ، ذراع بشرية متصلبة للغاية مكسوة بالسواد وترتدى قفازا أبيض ، تحمل منفضة . المخترع يأخذ المنفضة ، ويحتفظ بها فى يده أو تحت إبطه حتى نهاية المشهد . الذراع تعود من حيث خرجت فى حركة ارتجاجية] .

– أنت مندهش ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فأنت لم تشاهد شيئا بعد . إنه يتكلم أيضا ، ذلك الحيوان . ناطق مائة فى المائة ! ... ماذا تريد أن يقول ، هيه ؟ .. ماذا ؟ حسنا ، كما

تريد ! فورا ! .. سمعا وطاعة ! .. إضغط على الأزرار : ش .. و .. ق .. ى .* ، انصت جيد .

[نسمع من جديد ضجة انفصال الآلات ، ثم :]

(صوت الجهاز مترنما بصوت أخنف وأبلة)

وما نيل المطالب بالتمني .. ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال .. إذا الاقدام كان لهم ركابا

★ المخترع :

– ما رأيك فى هذه الأعجوبة ؟ هيه ، صوت رائع ! .. لاحظ أنك تستطيع أن تسمعه كما تشاء ، الصوت هو هو لا يتغير ، والكلام هو هو لا يتغير ، وكذلك التنغيم ! آه !

أجل يا سيدى ، أنت على حق ، هذا مكسب كبير لأولئك الذين يعشقون الأشياء الجميلة ! ولكى أبرهن لك على صحة ما أقول ، ستستمع ، إذا شئت ، إلى الأبيات نفسها ، بالصوت نفسه :

[يشغل بعض الأزرار والمقابض الخيالية . ضجيج وضوضاء ، ولكننا بدلا من بيتىْ شوقى نسمع الآتى :]

ماما زمانها جاية .. جاية بعد شوايا

جايبه لعب وحاجات .

★ المخترع (وقد باغتته المفاجأة) :

– ما هذا ؟ ماذا جرى ؟ خطأ ؟ .. [يتوجه ناحية الجهاز ويتفحصه] .. أجل مجرد خطأ فى التحويل ، ولكن أنا وحدى المسئول عن ذلك . وليس جهازى ! إنه جهازى . لا يخطئ ، إنه معصوم من الخطأ ، إنما الخطأ من طبيعنا نحن معشر البشر المساكين ! ..

لحظة .. ستفهم الآن كل شئ : هل ترى الدرج الرابع ، هناك ، من أسفل ، إلى اليسار / كلا ، ليس هنا ، هناك ، تحت التمثال الصغير لكيوبيد الذى يرتدى قبعة نابليون ! ...

★ فى الأصل الفرنسى «موسيه» الشاعر الفرنسى ، وأبيات له مشهورة تقول :
الإنسان صبىّ سيده الألم / ولا سبيل لمعرفة شئ ما إلا بالمعاناة .

أجـل ، هـذا ... حـسـنا ، على هـذا الدرج الرابـع ، هـل تـرى صـفّـى الأزرار ؟ ... الأزرار الحمـراء أعلى ، والأزرار الخضـراء أسفل ؟ حسنا ! ... أذا جذبت الزرار الثالث الأخضر والزرار السابع الأحمر ، وليس العكس ، نتجت زحزحة يسيرة نسميها بلغتنا «من شابه أباه فما ظلم» . وكما تدل التسمية فهو إشكال عارض ، لا يتضمن خطورة ظاهرة ، ولكنه خطيـر فى الواقع ، لأننا لا نلاحظ ذلك .. ونـحن نصـحح هذا الاشكال بأسلوب نسميه : «إذا أنت أكرمت اللئيم» ، نحن نعرف الداء ؟ ولدينا الدواء . فلنبدأ من جديد !

قلنا الدرج الرابع ، الزرار السابع الأخضر ، والزرار الرابع الأحمر ... هكذا !

[تشغيل يعقبه ضجيج ، ثم الصوت :]

(صوت الجهاز أخنف كما سبق ، لكنه هذه المرة بإيقاع سريع وأسلوب تهريجى)

وما نيل تؤخذ ولكن غلابا بالتمنى المطالب الدنيا

نيل بالتمنى وما المطالب الدنيا تؤخذ غلابا

ركابا وما لهم استعصى كان على الإقدام قوم إذا منال

استعصى إذا وما إذا على كان قوم لهم منال ركابا

على ركابا وما قوم إذا كان منال الإقدام ركابا لهم استعصى

قوم على وما منال استعصى ركابا لهم كان الإقدام إذا

★ المخترع :

– آه ! آه ! ماذا جرى ؟ مستحيل ! غير معقول ! كفى ! كفى ! بطّل أيها الوغد ! .

[المخترع يهرول إلى الجهاز ، يهزه ، ويركله بقدميه ويدق عليه بقبضتى يديه . الصوت يتوقف]

– سيدى أرجوك ، سامح جهازى .. لقد اشتغل كثيرا هذه الأيام ، لقد قمت بتعليمه الكثير من الأشياء ، وقرأت عليه الكثير بحيث تشبعّ وصار مفعما . ثم إن ما حدث ليس سوى إشكال عارض ، إشكال آلى . فلا بد وأن شخصا داس فوق التوصيلات ، اللهم إلاّ أن يكون السوس قد هاجم أخشاب المحور الرئيسى ! ليلة واحدة يرتاح خلالها ، ويعود كل شئ على ما يرام .

... ولكننى لا أريد أن أتركك بهذا الانطباع السئ ، سأطلب من جهازى أن يقدم إليك هدية ، على سبيل الاعتذار لك . هيا ! سنعمل لك شيئا رائعا ، شيئا يظل بالنسبة لك ذكرى ، حتى لو لم تشتر الجهاز . آه . هاك ، لقد وجدتها !

[يشغّل الجهاز لحظة]

– والآن يا سيدى ، أغلق عينيك ولا تفتحهما إلاّ اذا قلت لك : ستكون مفاجأة ... واحد ... اثنان ... ثلاثة ... هاك !

[ذراع الجهاز يخرج على حين فجأة مسدسا ، ويطلق النار ، تسمع فرقعة ، فى خلفيات المسرح ، صرخة عالية وضوضاد ناتجة عن سقوط جثة . فى حالة ظهور المشترى فوق المنصة يسقط ميتا . المخترع يظهر مذعورا فى بادئ الأمر ثم يرفع كتفيه كالمستسلم ويقول :] موسيقى ! ..

[يقبض على ذراع الجهاز كما فعل فى بداية المشهد ، وفى الحال نسمع لحن الأورغ الذى سمعناه فى البداية] .

(ســتار)

* * *

المتـــــراس

La Serrure

Et maintenant, monsieur, fermez les yeux et ne les ouvrez que lorsque je vous le dirai : ce sera une surprise... Un... deux... trois... ça y est ! (Le bras sort brusquement un revolver et tire. Détonation. Dans la coulisse, un grand cri et le bruit de la chute d'un corps. Si l'Acheteur est sur la scène, il s'écroule, touché à mort. L'Inventeur paraît d'abord atterré, puis, haussant les épaules d'un air résigné :) Musique!...

Il reprend la manivelle et, aussitôt, on entend la même musique d'orgue de Barbarie qu'au début .

Rideau.

صاحبة المحل

الزبـــون

حجرة استقبال مؤثثة ومزينة بطريقة تنم عن ذوق سقيم . لوحات رديئة على الجدران ، كراسى موسدة وطاولة صغيرة مستديرة بقائمة واحدة فى أعلاها وثلاث قوائم فى أسفلها ، الكراسى والطاولة مذهبة . إلى اليسار فى الجنب باب جنائزى الهيئة : أبعاده خارقة للعادة ، مطلى بالأبيض مع إطار أسود . فى منتصف الباب ، أى فى مكان غير عادى يوجد متراس ضخم ، أكبر من المعتاد ، ثقب الباب أيضا ذو أبعاد غير عادية مع أنه لا يختلف من ناحية الشكل عن الثقب الاعتيادى . يبدو أن كمية هائلة من الليل تكدست وتركزت فى هذا الثقب . فى الناحية المقابلة ، أى إلى اليمين ، باب آخر ، لكنه ذو أبعاد متوسطة ، عادية ، إنسانية .

فى أقصى المنصة ، نافذة تخفيها ستائر كثيفة مغلقة تتدلى حتى الأرض .

الحجرة مضاءة بالكهرباء .

عند رفع الستارة ، الباب الأيمن ينفتح بغتة : الزبون يدخل مذعورا بعض الشئ تلحق به صاحبة المحل .

الزبون إنسان مسكين خجول ، ملابسه ضيقة وحركاته محدودة ، صاحبة المحل سيدة ضخمة ناضجة جدا ، شعرها مصبوغ ، ملابسها صارخة الألوان . تحمل فى يدها ربطة مفاتيح .

صاحبة المحل (باندفاع)

هنا ، هنا ، اجلس هنا ... حتى أعود . (الزبون يجلس . صاحبة المحل تغلق الباب عليهما ، تبدو لحظة مهتمة بما يجرى فى الجانب الآخر ، ثم :) لقد مضوا ، حسنا ، سأذهب أنا . سأعود بعد لحظة (تبتسم له ابتسامة عريضة «تجارية» وتختفى من حيث أتت ، وهى تغلق الباب على الزبون ، الذى بقى وحده وجعل يتهيأ لانتظار . يسعل وينظر فى ساعته ويكرر النظر إلى جهة باب اليمين وقد بدت عليه علامات نفاد الصبر ، حينئذ تظهر صاحبة المحل من جديد وهى ما تزال على حماستها وعجلتها) . يا إلهى ، يا إلهى ، سيدى العزيز ، أرجو ألا أكون قد جعلتك تنتظر طويلا ؟ كم أنا آسفة لأننى جعلت هذا السيد الظريف الصغير ينتظرنى .

الزبون (متماسكا وفى غاية الخجل)

سيدتى ... الحقيقة ، يا سيدتى .. أنا لم أكن على عجلة من أمرى . هذا بالتأكيد ..

صاحبة المحل

بالتأكيد ، بالتأكيد ... لقد بدأت تفقد الصبر ، أيها الصغير الظريف . هيا اعترف بذلك صراحة . الواقع أن بعض السادة الذين يأتون رلى هنا لا يتبرمون دائما من طول الانتظار ! كلا ، لا يتبرمون ! بل استطيع أن أقول إن بعضهم ، كيف أعبر عن ذلك ، ينعمون بذلك . (تضحك بطريقة مفهومة) هل تدرك ما أعنيه ؟ .

الزبون (محاولا أن يكون محترما)

أنا يا سيدتى ، كما تعرفين ، الذى أتى بى إلى هنا سبب آخر تماما .

صاحبة المحل (بسخرية)

مفهوم . كل واحد من السادة يأتى هنا دائما لسبب آخر تماما . وكذلك أنت يا سيدى الصغير ، طبعا ، طبعا ..

الزبون (بشئ من التبذل ولكن تتملكه عاطفة عارمة)

أنت تعرفين يا سيدتى لماذا جئت ! أو بالأحرى لمن جئت !

صاحبة المحل

هيا ، دعك من هذا ، أنا أمزح يا سيدى الصغير ، سيدى الصغير المسكين نحن نداعبك . ولكن نداعبك فى ظرف لأننا ندرك ماذا تريد ، ولأننا نعرف أننا سوف نلبى لك طلبك (بطريقة غنائية) أننا سنلبّى لك طلبك ، أن السيد سوف ينال ما يريد ، ما يريد .

الزبون (بحيوية وبصوت أجش)

أين هى ؟ أخبرينى أين هى ؟ ★

صاحبة المحل (مستمرة فى الترنيم)

آه ، آه ، أين هى ، جميلة الجميلات ؟ أين هى ، الغادة الجميلة للسيد الصغير ؟

الزبـون

أرجوك : لا تمزحى !

صاحبة المحل (مستأنفة بلهجة طبيعية)

أيها الخبيث عديم الصبر (رافعة كتفيها) هيا ، أنت تعلم جيدا أننا ما جئنا بك بلا فائدة .

الزبـون

أتوسل إليك . أتضرع إليك أن تخبرنى : أين هى ؟

صاحبة المحل (مشيرة بطريقة شعائرية إلى الباب الجنائزى الكبير)

هناك .

الزبون (وكأن شيئا قد ألهمه)

هناك ، هى إذن هناك ؟ إنها هناك ، خلف هذا الباب ؟

صاحبة المحل

مادمنا قلنا لك ذلك .. (مستدركة) أو بالأحرى هى ليست هناك بعد ، حتى هذه اللحظة ، ولكن من المؤكد أنها ستكون هناك بعد قليل .

الزبون (وقد خاب أمله)

آه ؟ فقط بعد قليل ؟

صاحبة المحل

دعك من هذا ، وكن عاقلا : أنت تعلم جيدا أن شيئا لا يمكن أن يتم فى حضور طرف ثالث حتى لو كان هذا الثالث شخصا مثلى لا يحضر إلا ليقدم لك ما تريد ... بعد قليل ، حينما تصبح وحدك ، وإن كنت عاقلا حقا ، فإنك ..

(تأتى بحركة ترمز إلى شئ رائع)

الزبون (مطلقا زفرة عميقة)

لطالما تمنيت هذه اللحظة ، يا سيدتى !

★ هى (Elle) تبدأ فى النص بحرف كبير (كابتال) . ولعل فى ذلك نوعا من التجريد أو الاطلاق أو الرمز الذى سيتضح كلما تقدمنا فى المسرحية . المترجم

صاحبة المحل (تضحك ضحكة ماجنة)

هذا ، أنا واثقة منه .

الزبـون

لماذا تضحكين ؟ ألأنّى أخاطبك قائلا يا سيدتى ؟

صاحبة المحل (ماجنة)

ليكن !

الزبـون

لا غرابة فى ذلك ، كما تعلمين !

صاحبة المحل

أعلم ، أعلم كل شئ .

الزبـون

لا غرابة فى ذلك ، عاطفة كهذه !منذ أيام وليال وسنوات لا أفكر إلا فيها . كنت أقول لنفسى : أوه ! لو أستطيع فقط أن أراها ! ... أن أراها ! .. ولو لحظة واحدة ! ... أراها ! حتى دون أن ترانى ! ألمحها فقط ! من خلال ستارة ممزقة ، أو باب منفرج ، من خلال منظار ! ... أجل ، هكذا كنت أخاطب نفسى . كنت أقول لنفسى إن هذا يكفى لإسعادى .. والآن وعلى حين بغته يتحقق الحلم ! ها قد حانت هذه اللحظة !

صاحبة المحل

صبرا ، يا صغيرى ! بعد قليل ، بعد قليل !

الزبـون

على أية حال ، ماذا يهم الآن أو بعد قليل ! لقد بلغتُ الغاية ! هل أنا ذا فى حلم ؟ أخبرينى : هل أنا فى حلم ؟

صاحبة المحل

كلا ، كلا يا صغيرى ، أنت لست فى حلم .. أنت هنا يقظ بلحمك وعظمك .. بلحمك وعظمك . من أجلها ، وسيكون بوسعك الآن أن تتأملها حتى تشبع ..

الزبـون

ما زلت لا أستطيع أن أصدق ذلك . هل هذا ممكن ؟ هل كل هذه السعادة من أجلى ؟

صاحبة المحل

من أجلك ، يا صغيرى ، من أجلك .. من أجلك وحدك ، وحدك فقط ، بعد قليل . أى حينما

تسمع دقات الـ ...

الزبـون

ماذا ؟ هل ستحدثنى ؟ ... أم أنها ستغنى ؟

صاحبة المحل

لا تنفعل هكذا ! ودعنى أكمل عبارتى .. أقول سيكون بوسعك أن تنظر ، سيكون عليك أن تنظر بمجرد سماع الدقات المتفق عليها ، أى حينما تسمع ساعة حجرتها تدق السادسة هنا ... خلف الباب ... السادسة (ببطء) دينغ ! ... دينغ ! ... دينغ !

الزبون (مكملا وهو فى غاية النشوة)

دينغ ! ... دينغ ! ... دينغ ! السادسة ! الساسة فى حجرتها . هنا . تكلمنى ؟
(يشير إلى الباب الأبيض المحاط بالأسود)

صاحبة المحل

نعم . ! هنا ! خلف هذا الباب !

الزبون (وقد انتابه القلق فجأة)

وهل أنتِ واثقة من أننى سأسمع ، أننى سأسمع جيدا دقات الساعة ؟

صاحبة المحل

بكل وضوح . بكل تمييز ! رنين لطيف شجى من ساعةِ غادةٍ ، غادةٍ جميلة ..

الزبون (محموما)

ساعة فوق منضدة سريرها ؟ أليس كذلك ؟ وبالتالى فهى ساعة قريبة منها أليس كذلك ؟ هذا صحيح : قريبة منها ؟ أستحلفك أن تجيبنى اذن !

صاحبة المحل

نصيحة : هدئ من انفعالك . ولا تستسلم لمثل هذه الحالة ... «قبل ذلك»

الزبـون

وكم من الوقت ينبغى أن أستمع إلى رنين الساعة هذا ؟

صاحبة المحل (بطريقة فيها إغراء)

ليس كثيرا .. لحظة قصيرة .. ولن يضيرك هذا .. بل ستسعد كثيرا له ... «بعد ذلك»

الزبـون

أو لن يأتى من يـ ... يزعجنى ، على الأقل ؟

صاحبة المحل

أبدا .. ستكون فى هدوء تام .. أيها الخبيث الصغير ... لن يكون هناك ما تغبط عليه عظماء الأرض !

الزبـون

«وأين» و«كيف» سأراها ؟

صاحبة المحل (مشيرة إلى ثقب القفل)

من هنا !

الزبـون

من هنا ؟

صاحبة المحل

بالضبط ..

الزبـون

أوه ! .... يعنى ...

صاحبة المحل

ماذا إذن ؟

الزبـون

يعنى سيتحتم علىّ أن أنظر من هنا ... من هنا ؟

صاحبة المحل

أجل ، طبعا ! قلها اذن بصراحة ووضوح : من ثقب المتراس ..

الزبون (وقد خاب أمله)

آه !

صاحبة المحل

ماذا إذن ؟ اعتقد أنه ليس هناك ما يدعو للشكوى !

الزبـون

أوه ، كلا ، كلا ، بطبيعة الحال ، لكن ....

صاحبة المحل (ساخرة منه وباحتداد)

كيف ! السيد كان يعلن قبل أنه يتمنى أن يراها بأى ثمن ! أنه يرضى أن يرى جميلته من خلال ستارة ممزقة ، من خلال باب منفرج ، أو غير ذلك ... والآن ، وحينما يكون تحت

تصرف السيد وسيلة اطلاع ممتازة ، استثنائية ، ثقب ضخم فى متراس فى باب ضخم ، فإن السيد لم يعد راضيا .

الـزبــون

لا تغضبى يا سيدتى ! لا تغضبى ! أنا لم أقل إنى لست راضيا ! كنت أريد أن أقول ... كنت اقول ... كنت أتصور ...

صاحبة المحل (فى غلطة)

هيا ، تكلم إذن ، أيها الأبلة !

الزبون (بطريقة تثير العطف)

حسنا ، سأتكلم : يعنى لن أستطيع أن أرى منها أكثر من ذلك قليلا ؟
(يرسم بيديه فى الهواء دائرة ، أولا فى حجم طبق الفنجان ، ثم فى حجم رأس الانسان ، ثم فى حجم كرة أكبر) .

صاحبة المحل (غاضبة على طريقة الأم)

أنت تعرف جيدا أن هذا مستحيل ، هه ! لماذا توجه مثل هذه الأسئلة ؟ كيف هذا ؟ نتحايل لكى نقدم له ما يـريد ! ونعد لـه كل شئ ! وكل شئ علـى وشـك أن يتحقـق له ! ثـم ها هو ذا السيـد لا يبدو راضيا ! السيد لا يريد أن يكتفـى بثقب فى المتراس ! السيـد يريد كوة ، يريد نافذة ، يريد بابا أو بوابة ! وماذا أيضـا ! ... (ترفع كـتـفـيـهـا) ... رح يا أخى أنت مستحيل ! ... أنت لا تستحق التعب الذى نتجشمه من أجلك .. إنسان لا تشبع ، شره لا تطاق ! ... ثم انك تضيـع وقـتـى . لدىّ زبائن آخـرون ينتظروننى . وأنا واثقـة مـن أنهم لا يغالون فى طلباتهم مثلك ....

(تربت خده على طريقة الأم)

الزبــون

آسف يا سيدتى ، أنا لم أقصد اغضابك .. أنا أعرف أنك طيبة جدا معى .. شكرا ، يا سيدتى ...

صاحبة المحل

هيا ، سأتركك وحدك ... وحدك معها ، تفاهم معها ! ... وأهنأ معها .... (قاسية على حين بغته) ولكن تذكر اتفاقنا ...

الزبون (ذليلا)

أجل ، يا سيدتى ...

صاحبة المحل

وبخاصة ، لا تحاول أن تفتح الباب !

الزبون (محتجا فى غضب)

أوه ، كلا ، كلا ، يا سيدتى ....

صاحبة المحل

حتى لو ظهر منها أنها تدعوك لذلك ...

الزبون (بلهجة الانسان النظيف الذى لا يخضع لاغراء)

حتى فى هذه الحالة ، كلا ، لن أفتح !

صاحبة المحل

ستكتفى إذن بالنظر ؟

الزبـون

أجل ، يا سيدتى ..

صاحبة المحل

تذكر هذا جيدا ! وتذكر أنك لن تراها إلا حينما تدق الساعة السادسة !

الزبـون

... فى ساعة حجرتها ... نعم يا سيدتى .

صاحبة المحل

هذا حسن ! إذن ، إلى اللقاء يا صغيرى . أنا ذاهبة .. حاول أن تكون .. عاقلا
(تضحك ضحكة غامضة وسافلة)
(تخرج ضاحكة)
(الزبون ينتظر لحظة ، ثم يدور فى الحجرة ، يتفقد الأثاث ، يتوقف أمم الباب)

الزبـون

أيها الباب الهائل الجميل ! صورة طبق الأصل من جميلتى ! .. عال متعال ، متسلط صامت ، خلاصة القول ، جدير بها ! (عائدا إلى مقدمة المنصة ومخاطبا نفسه) قل ، هل تستطيع أن تصدق ما يحدث لك ؟ هل تستطيع ذلك حقا ؟ هل هذا أنت فعلا ، أنت سيحدث لك ما سيحدث عما قليل ؟ هل هذا اليوم هو اليوم فعلا (يخرج من جيبه مفكرة ويطالع فيها) نعم ، يبدو ذلك .. هل أنا هنا فعلا ؟ (يضحك) يا له من سؤال أبله ! ... ما هو هنا هو هنا فعلا ، على الأقل فيما يبدو .... وأنت ، يا صاحبى ، هل أنت أنت فعلا ؟ (يتحسس ذراعيه ،

وساقيه) . طبعا ، ما دمت تستطيع أن تلمس جسمك بيديك ! هيا فلنجلس ! ها أنت ذا أنت نفسك هنا ، عندها ، قريبا منها ، كأنك فى دارك ! ... هوم ! فلنجلس ! ... هل أخلع ملابسى ؟ لا ، ليس فورا هكذا ! ... إنتظر حتى تأتى ، إنتظر حتى تصبح هنا ! ... ولكن قد يكون من الأفضل لنا أن نكون على سجيتنا ... على الأقل قليلا ، فى رأيى ! حتى تكون لنا حرية الحركة ... هيّا . (يبدأ فى إفراغ جيوبه) أولا ساعتى ! ... يخرج ساعته من جيب الصديريه ويرفعها إلى أذنه) ... كم رحت تدق أيها القلب الصغير فى انتظار هذه الدقيقة ! ... هيا ، إسترح قليلا . إسترح قليلا (يضع الساعة فى رفق فوق المنضدة الصغيرة المستديرة) ثم حافظة الأوراق ! ... (يخرج حافظته) حافظتى ! ... هنا بالداخل كل آثار حياتى ... شهادة الميلاد ، بطاقة الأسرة ، بطاقة التجنيد ، الصور الفوتوغرافية ، بصمات الأصابع ! هيا ، لنتخلص من كل ذلك ! هنا ، أنا لست شيئا . لست شيئا . سوى عاشق للجنس اللطيف ! ... إذن فلا هوية ولا شخصية (يضع الحافظة . مخاطبا نفسه بطريقة مضحكة) والآن ، ما اسمك ؟ جوزيف ؟ ... جورج ؟ قيصر ؟ فت !! لا أحد ! عريان مجرد مثل الدودة وبلا وجه أيضا ، هيه ؟ (يخرج من جيب آخر مرآة صغيرة وينظر فيها مقطبا) يا للقرف ! أيها الغرّ الوضيع ! هلا غربت عن وجهى ! ..... (يلقى المرآة فوق المنضدة الصغيرة) إذهبى أنت أيضا أيتها الشاهدة البلهاء ! التى لا تستطيع أن تجمّلنى ! ... ولكن الجمال ، ما دمت أحبه ، فهذا يعنى أنه حليفى ! ... أو لم أحضر إلى هنا لكى أتعبد فى محرابها ؟ (ناظرا إلى الباب) آه .. متى إذنٍ سأستمع إلى دقاتك ؟ ... ولكن ، يا لغبائى ، فقد تمنعنى ضوضاء كلامى من سماعها (مصيخا السمع) إن مثل هذه الساعات يكون لها فى بعض الأحيان رنين رقيق ، دقيق ، بعيد ... لو حدث أن ضاعت منى أغلى ساعات حياتى ، أهم ساعات عمرى ! ... كلا ... مستحيل ، وإلا لما جاءوا بى إلى هنا ! لا يمكن أن يسخروا منى ! (معتقدا أنه سمع الساعة) ها هى ! أسمعها ! الدقات الأولى ! ... (خائبا) كلا ! بل هى الدماء فى رأسى ! إن فقدان الصبر يصيبنى بالجنون ! .... هيا ، قليلا من الهدوء ! لو ظللْت هكذا فسأخلط بين الوهم والواقع ! قليلا من الهدوء ! ... قليلا من الراحة ... هنا ... فلنجلس هنا (يجلس فوق أحد الكراسى ، ويحاول الاسترخاء على حين بغتة تسمع دقات واضحة غريبة على فترات متساوية : ساعة الحجرة المجاورة تدق بطيئا معلنة السادسة . الزبون ينهض ، فريسة إثارة بالغة بحيث يصعب عليه السيطرة عليها) .

الزيـــــــون

السادسة ! ... الاشارة ! .... أنا ... أنا استطيع ... ينبغى علىّ ... لابد أن أذهب ... ينبغى أن أنظر ! ... أى أنه ... يا للغباء إنى لا أجرؤ ! رصاص فى ساقى ! ... ولكن كلا ، ينبغى أن تواتبنى الجرأة ! قيل لى ذلك ! لابد ! أنظر ، أنظر من هنا ! .. لا أهمية إن كان هذا يبدو لك عسيرا ! ... خذ فى الاعتبار أنك ستراها ... هيا ! ... تشجع ! ...

(يفرك عينيه ثم ، يبذل جهدا كبيرا ويقترب من الباب ، يميل وينظر من ثقب المتراس طوال الفترة التى سيستغرقها حديثه سينظر ويعلقّ على ما يرى ، تارة يميل حتى مستوى المتراس، وتارة ينتصب لكى يتحدث فى مواجهة الجمهور) .

الزيـــــون (بنشوة)

أجل ! أجل ! ... هى فعلا ! ... هى ! ... هى ! ... كما رأيتها ، كما بدت لى فى ألف مناسبة فى حياتى ! ... هى ! ... لم أعد أستطيع أن أتكلم ! مرة أخرى ! فلأنظر إليها مرة أخرى ! ... يا إلهى ، ما أجملها ! ... هاتان عيناها الواسعتان العميقتان ! هذه الهوينى فى حركاتها ! ثم ... هذه ، هذه الأعضاء المكتنزة . هذه الأعضاء الممتلئة ... التى نتصورها تحت ثوبها الطويل (يأتى بحركات تثير السخرية ، ويبدو فى حالة إثارة كأنه يداعب جسم هذه المرأة) المرء لا يمل من النظر ... يود أن يلمس بيده هذه ... هذه الأشياء الجميلة ... هذه ، كيف أقول ... أوه ! الكلام لا يسعفنى .. أوه ! ماذا يسمى هذا إذن ؟ كل شئ ! ... (يأتى بحركات غريبة مضحكة ويرسم فى الهواء صورة امرأة خيالية) ولكن كيف ؟ هيا ، هيا ، كيف : أنا فى حلم .. أنا لا أرى كل هذا ! بل أنا ألمحه ، أنا ... أنا ... أتخيله ! تحت أجمل ثياب فى العالم ! ... (كأنه سعيد لرجوعه إلى البراءة ، وهو يجفف جبينه) نعم ، كنت أحلم ! ... آه ! يالرشاقة مشيتها إنها تروح ! إنها تجيئ إنها تدور حول نفسها ! ... يبدوأنها ترقص ! (هو نفسه يروح ويجيئ ويرقص بطريقة تثير السخرية والضحك) ياللروعة ! يا للرشاقة ! بلا أية ضوضاء ، بلا أى نفس ! (يلصق أذنه على الباب) بل لا أسمعها تتنفس ... بل ولا حتى صوت الأرض تحت قدميها ... بل ولا حتى حفيف ثوبها ...

ولكن .. ها هى ذى تبتعد ، تختفى فى العمق ، فى عمق الحجرة الواسعة ! (كأنه يبكى) أوه ! لا ، لا تذهبى ! عودى إلىّ ، حوّلى عينيك نحوى ، هاتان المرآتان ، مرآتا عمرى ! أرجوك ! عودى ، اقتربى منى ! أخيرا ، ها هى ذى تعود ! كأنها تصعد من أعماق المياه .

إنها تمر خلال سحابة ، خلال أشعة ! إنها تبتسم .. إنها تأتى ! إنها ترقص ! ... ها أنت ذى إذن يا نور عينى ! ها أنت ذى يا شمسى السوداء ! .. ولكن ماذا تفعل ؟ هل هذا ممكن ؟ هل هذا ممكن ؟ هل ممكن مثل هذه السعادة من أجلى ، أنا ، عبدك الذليل ؟ ... نعم ... لقد رأت عيناى ذلك . إنها تخلع ، الواحدة بعد الأخرى ، الكهرمانتين المعلقتين فى شعرها ...

والآن ، أجل ، أجل تسحب خواتمها من أصابعها الطويلة التى تنتهى بأظافر طويلة ! ... إعجاز فى الرقة والدقة ! يبدو أنها قد سحرت هذه الحلىّ المعدنية وهذه الأحجار الكريمة الكبيرة : فلا صوت يصدر عنها ! وهذا بياض معصميها يتجاوز أساورها ! وعنقها يبدو أكثر علوا وأكثر إشراقا (يستمر فى تمثيل ما يراه بحركات تثير السخرية) أوه ، الآن ... الآن تنزع عنها هذه السترة القصيرة التى كانت تبرز روعة نحرها ، ودقة قوامها ونفور ردفيها ! ... إنها تميل ! ... تميل ! ... من خلال فرجة الصدرية ألمح ... أوه ! ما أجمل هذا ! ما أجمل هذا ! (يضم يديه) والآن ها هى ذى تخلع حذاءها المخملى ! وتلقى به هكذا بعيدا ، وهى تلعب ! .. هى ... أوه ! أجد مشقة فى تحمل دقات قلبى ! ها هى ذى قد حلت أزرار ثوبها وتسحبه بطول جسمها فوق الحرير اللامع ! (يخلع صديريته ويبدو فى قميصه واسع الياقة جدا ، ورباط عنقه المهمل ، مع الحمالات) عند قدميها ، وحولها الأرض مفروشة بتاج من الآوراق ، بتلات سقطت من زهرة . ومن هذه الكأس المهملة يبرز تخت أسود ووردى أقصر من الثوب ، مشدود على جسد مظلل (يخرج من الحمالات كتفيه لكن سرواله لا يزال ثابتا بالحزام) يا إلهى ! يا للروعة ! .. فرجات ! اكثر فأكثر ! كالأرض تلوح بين مناطق كثيفة من العشب فى مهب الريح ! .. لم يعد هناك سوى مشدات مطاطية ضيقة ! مشدودة على أحجام ! مضغوطة بين ثنايا الحرير اللامع تحت ضغط الثديين ! ... يدٌ ثم اليدُ الأخرى تحلّهما ! فيتطاير ذلك حولها أشبه باليمام ، أشبه بالحمام ! (وهو يتحدث يخرج من جيبه منديلا ويلقى به بعيدا ، ثم رباط عنقه الذى يلقى به أيضا) . هذا هو لحمها ! لحمها هى ! هنا ! وهناك ! من جميع الجهات ، النحر ، والذراعان ، والضوء ، والظل ! غاية كل حياة ! هوّة نفوسنا ! (يلقى بنفسه على الأرض راكعا دون أن تتخلى عيناه عن المتراس) وأخيرا ، أخيرا ، كل حدودها ومداراتها التى لا يملك كيانى كله إلا أن يخر أمامها ساجدا شكرا وعرفانا ...

(ابتداء من هذه اللحظة ، هزُء حركاته يتحول إلى نوع من الضلال المؤثر) لا تتوقفى فى مثل هذا الطريق القويم ، يا تتويج عمرى كله ! ... إنزعى عنك آخر قطع من ثيابك ! أيضا ! أيضا ! لا تخفى عنى أى سر . كونى بكاملك وتمامك فى نظرات وبواسطتها فى يدىّ ، فى

دمائى ! ... آه ! ... كأنها سمعت رجائى شكرا ، شكرا يا حبى ! ... أنت تغمريننى ببركات الأرض جميعا ! ... ما من مكان سرى فى جسدك بقى خافيا عنى حتى لو كان أظلم من القبو وأندى ! ما من سر من أسرار مولدنا ! ... يبدو لى أن لحنا موسيقيا خالدا يطوف حولى ، فى البعد ، حتى قبل أن يسمع ! ... آه أيتها الرغبة ، آه أيتها المتعة الكاملة ! آه ، أيها الطوفان .. اضطراب الموج يجرفنى سأتحطم على شطآنك ! ... (صمت قصير) ولكن ماذا؟ ألا تريدين أن تبقى هنا ؟ ... تهزين رأسك ، كأنك تقولين «لا» كأنك سمعت كلامى . أهى الحمى التى أصابتنى تستولى عليك ايضا ؟ ... لشد ما ترتعش يداك . هذه الرعشة لا تلبث أن تستولى شيئا فشيئا على جسدك كله ! ... أتراك ستشرعين فى رقصة من تلك الرقصات السحرية التى ترجع إلى العصور الأولى ؟ .. التى لا نملك أن نشاهدها دون أن نلقى حتفنا ؟ ثمة رعدة حيوانية تضطرب لها فتحات أنفك ، وتتجوف لها وجنتاك ! وعيناك تبدوان كأنهما تتراجعان وتفوران فى ظلّهما ! الهائل وصدرك يتنفس فى قوة أكثر فأكثر ، فى سرعة أكثر فأكثر ! ... الرعدة التى تصعد من كاحليك حتى تحويك ، ومن رسغيك حتى كتفيك ، آه ، كم هى تمط صورتك وتبسطها . إنك تكبرين ، تطولين ، أشبه بساق من الصلب وسط لهب النار . ... عيناك تجويفان عميقان ضياؤهما الثابت يسبينى ! فكاك اللذان يبرز الظل نفورهما تصطكان فى فزع ورعب ، فى هوس وجنون ! ... أوه ! حبيبتاه ، إلام تتحولين هنا أمام ناظرى؟

إن ردفيك وقد زلزلتهما أمواج الألم والعذاب تفكّكا جسدك الرائع ! والنور الذى كان قبل قليل يتعبد فى محراب أعضائك يغوص من الأظافر إلى داخل جسدك ! ووجنتاك ، وكتفاك ؟ حصاتان ، خنجران ! وعلى جانبى الترقوه ، تظهر الاضلاع مثل الشرائط المتشابهة فى زى رسمى .. فى لحظات معدودات كم تغيّرتِ يا معبودتى !

(النور يبدأ فى الخفوت بالتدرج وسيختفى بالكامل مع آخر كلام الزبون ، فى حين أن ثقب الباب الضخم سيظل وحده مضيئا بشدة رهيبة . فى الأثناء التى تغمر فيها هذه الظلمة الحجرة ، يسمع لحن رقيق ، حاد ملّح فى البداية يكون ضعيفا ثم يرتفع بحيث يصبح مصما للآذان ويظل لحظة قصيرة حتى بعد أن يسقط الزبون) ..

الزبـــــون

ولكن ، ماذا هناك؟ .. ماذا يجرى ؟ .. هذه الموسيقى ! إنها تنقضّ علىّ وتستقر تحت جمجمتى ، ليس بوصفها نـداء كما كانت .. وإنما بوصفها أمـرا لا يـردّ ولا يقـاوم ! ...

(ينظر مرة أخرى من ثقب القفل) .. النجدة .. . النجدة ! ... تقوم ، بمحاولة أخيرة! تريد أن تتعرى أكثر ! أكثر ممّا تفعل أى امرأة لعاشقها ؟ ها ! هى ! إنها تدور ، وتدور ، تدور .. تهتز ، تهتز ، ها ! هى ! أنها تلقى بعيدا بخدّيها ! وشفتيها .! وثدييها !. جسدها جميعا .! إنهـا تتنسّل ! مزقـا مزقـا ! هوب ! للكلاب ! هوب ! للطيور ! هوب للديدان ... لإبناء آوى ! هوب ! هوب ! هوب ! هيا ! هيا ! لم يبق شئ ! ولا حتى العضلات ! ولا الشرايين ! ولا الجلد ! .. آه يا جميلتى ها أنت ذى أكثر عريا ! أكثر كمالا وأكثر جمالا من أى وقت آخر .. حتى دون لحمك ثوبا ! ... مقلتا عينيك سقطتا فوق أسنانك ! آخر حلية لك ، فتور جسدك ، لحق بحليك الأخرى فى فوضى حجرتك . وراء عظام هيكلك ، التى تشبه قفصا خاليا ، أرى ، أرى «فراشك» يتألق ويتلألأ ... ولكن أنت ، ما تزالين واقفة ، وتبتسمين لى ! جبينك الذى خلا من كل أثر للشّعر ، يقترب مداعبا ! يداك العاجيتان ، وذراعاك الجافتان الخاليتان كالعيدان الجافة ، تمتدان نحوى فى رقة وعذوبة ! فقرات ظهرك المرمرية وساقاك النحيلتان الهشتان أشبه بالأغصان المتكسرة تتقدمان للقائى ! أوه ! هيكل بشرى فارغ ! يتكسر ويتحطم ، أنيق رشيق، ينتفض ويرتعد ! إنى قادم ، يا غرامى الوحيد ، يا حبيبة عمرى ، إنى قادم إنى قادم ! إنى قادم !

(يندفع ، باسطا ذراعيه أمامه ، على الباب ، يرتطم به عنيفا ويسقط على قفاه ، منبطحا على الأرض ، بلا حراك .

فى هذه اللحظة تكون الظلمة شاملة : ثقب الباب فقط يلمع بشدة . اللحن المستمر يبلغ ذروته ويستمر لحظات أخرى .

باب اليـمين ينفـرج فى بطء .. فى الاطار المضـيئ .. نتـعـرف صـاحـبـة المحل بهيكلهاالضخم) .

صاحبة المحل (بصوت خفيض جدا يشبه الهمس)

اعتقد .. أن السيد ... راضٍ ومسرور .

ستـــــارة

* * *

شباك التذاكر
Le Guichet

الشـــــخوص

المستخدم : مهيب للغاية ، متغطرس ، صارم .

الزبـــون : رجل ضئيل الجسم . خجول ، حركاته محددة وملابسه ضيقة.

المذيــــاع :

صوت مكبر الصوت :

ضوضاء مختلفة فى الخارج : (تحرك قطار ، صفير قاطرة ، سيارات ، منبهات سيارات ، كوابح (فرامل) ، وصرخة ألم .)

(مكتب استعلامات فى إحدى الادارات . قاعة عادية مقسومة نصفين بواسطة فاصل من القضبان الحديدية وشباك تذاكر : إلى اليمين ، خلف الشباك ، يوجد المستخدم جالسا إلى طاولة فى مواجهة الجمهور . الطاولة مثقلة بالسجلات والكتب وغيرها من الأشياء . فى أحد الأركان مدفأة بماسورة معوجة . على الجدار يتدلى معطف وقبعة المستخدم . مظلته المفتوحة تجف أمام المدفأة .

ناحية «الجمهور» باب فى أقصى المنصة . إلى يسار الباب لافتة عليها عبارة «دخول» . إلى اليمين ، لافتة عليها عبارة «خروج» . مقعد دكة بحذاء جدران القاعة . على الجدار جهة الجمهور ، لافتة كبيرة تقول : «عليكم بالإيجاز» جهة المستخدم لافتة مماثلة تقول «عليكم بالصبر» .

عند رفع الستارة ، يشاهد المستخدم غارقا فى مطالعة كتاب . يقرأ فى صمت وهو يحك رأسه بين الفينة والفينة بسكين الورق .

الباب ينفرج : يظهر رأس الزبون ، وجه مضحك عليه علامات القلق على رأسه قبعة زال لونها .. الزبون يتجرأ ويدخل . يبدو فى غاية الوجل والرهبة . يتقدم بضعة خطوات على أطراف أصابعه ويتطلع حوله : فى أثناء رجوعه يلاحظ اللافتتين المعلقتين على جانبى الباب : «دخول» و«خروج» يبدو مترددا لحظة ، ثم يخرج كما دخل : ولكن سرعان ما نسمعه يطرق الباب . المستخدم الذى لم ينتبه إليه قبل الآن يرفع رأسه على حين بغتة ، ويغلق كتابه محدثا ضجيجا ...

المستخدم (زاعقا بلهجة متغطرسة)

آدخــــل !

(الزبون لا يدخل)

المستخدم (بصوت أعلى)

آدخــــل !

(الزبون يدخل وهو أكثر فزعا)

المستخدم (متوجها نحو شباك التذاكر)

عفوا يا سيدى ... أهذا مكتب الاستعلامات ؟

المستخدم (وهو يفتح الشباك محدثا ضجيجا)

نعـــــم !

الزبـــــون

آه ! حسنا ! حسنا جدا ! حسنا جدا ! الحقيقة أننى كنت أريد ....

المستخدم (مقاطعا إياه فى غلظة)

تريد أن تستعلم عن شئ ؟

الزبـــــون (ســـعيدا)

نعم ! نعم ! بالضبط ، بالضبط ،. كنت أريد ......

المستخدم (بالطريقة نفسها)

إذن ، فانتظر !

الزبـــــون

عفوا ! ماذا انتظر ؟

المســـــتخدم

انتظر دورك ، إنتظر حتى نُناديك !

الزبـــــون

ولكننى وحدى هنا !

المستخدم (بوقاحة وغلظة)

غلط ! نحن اثنان ! خذ (يعطيه حديدة) هذا رقمك ..

الزبون (وهو يقرأ الرقم على الحديدة)

رقم ٣٦٤٠ ؟ (بعد إلقاء نظرة على القاعة الفارغة) ولكن .. أنا وحدى !

المستخدم (حانقا)

أنت تتصور أنك الزبون الوحيد اليوم ، أليس كذلك ؟ اذهب واجلس وانتظر حتى أناديك .
(يغلق الشباك محدثا ضجيجا .. ينهض ويذهب لفتح المذياع . أغنية تافهة (لمطرب درجة ثالثة) تطغى على المشهد .. الزبون يتوجه للجلوس مستسلما ..

المستخدم يتفقد مظلته ، يجد أنها جفت فيغلقها ويتوجه ليعلقها على المشجب . ثم يبرى قلما ، ويترنم باللحن الذى يسمعه ، وأخيرا يعود إلى المذياع ويدير المفتاح فيستبدل بالأغنية نشرة الأحوال الجوية) .

المذيـــــــاع

سيستمر الجو غائما بصفة عامة على البلاد مع انخفاض فى درجة الحرارة مما يتسبب عنه الإحساس بالبرودة ... (حين سماع هذه الكلمات يقوم المستخدم بوضع كمية من الفحم فى المدفأة ويقوم الزبون برفع ياقة معطفه) ... أمطار خفيفة متقطعة على المناطق الممطرة ، وعواصف ثلجية فوق أعالى الجبال ، ويستمر الطقس المعتدل فى المناطق المعرضة للشمس ... استمعتم إلى نشرة الأحوال الجوية .

(المستخدم يغلق المذياع ، يفرك يديه طويلا ، يذهب ويجلس إلى الطاولة ، يفتح الشباك و .....)

المســـــتخدم

رقم ٣٦٤٠ ! (الزبون مستغرق فى التفكير ، فلا يسمع . المستخدم ينادى بصوت أعلى) قلت رقم ٣٦٤٠ !

الزبون (يفيق فجأة من تأملاته وينظر بسرعة إلى حديدته)

أنا .! أنا !

(ينهض ويقترب من الشباك)

المســـتخدم

الحـــديدة !

الزبـــــون

آه ! عفوا ! لا مؤاخذة ! ها هى ذى .

(يقدم الحديدة)

المســتخدم

شـكرا !

الزبـــــون

سيدى ، كنت أريد بالضبط أن أسأل عن ....

المستخدم (مقاطعا إياه)

اسمك ؟

الزبـــــون

اسمى ؟ ولكن ...

المستخدم

ليس هناك «ولكن» ما اسمك ؟

الزبـــــون

هذه ... هذه بطاقتى .

(يبحث فى جيبه ويخرج منه حافظة ... ولكن المستخدم يوقفه)

المستخدم

أنا لا أريد بطاقتك ، أنا أسألك عن اسمك .

(يصدر عن الزبون غمغمة غير واضحة)

المستخدم

كيف تكتب هذا ؟ تهجّى من فضلك !

الزبـــــون

م .. س .. ش .. ب .. ص .. ل .. ت .. ح .. د .. ك .. ل .. ج .. و .. ب

المستخدم

تاريخ ومكان الميلاد ؟

الزبون (فى دفعة واحدة)

ولدت أواخر القرن الماضى فى الغرب .

المستخدم

بالتحديد ! ه تريد أن تضحك منى ؟

الزبـــون

أبدا ، أبدا ، يا سيدى بالتحديد أنا ولدت فى مدينة «رين» عام ١٨٩٧ .

المستخدم

حسنا ، المهنة ؟

الزبـــون

فى المعاش

المستخدم

رقم البطاقة ؟

الزبـــون

فئة (أ) رقم ج ٩٨٩٦ ب ٤ ش م ص ل ٧٤٠ ، ٤ ب ٥ أ م ٣ مليون و ٦٧٢ ألف و ٨٦٣

المستخدم

هل أنت متزوج ؟ هل لك أبناء ؟

الزبـــون

عفوا يا سيدى ، هل تسمح لى ... أن أندهش قليلا ؟ لقد جئت هنا ... لكى أسأل عن بعض المعلومات ... وها أنت ذا الذى تسألنى ! ... أنا ...

المستخدم

وجه إلى الاسئلة حينما يحين دورك ... أنا أسألك هل أنت متزوج ، هل عندك أبناء ! نعم أم لا ؟

الزبـــون

نعم ... لا ... أقصد ...

المستخدم

ماذا تعنى بأقصد ؟

الزبـــون

النهاية ! آه شيء مؤسف .! وأنا الذى كنت على عجلة ...

المستخدم

إذن ، اذا كنت على عجلة إلى هذا الحد فمن الخير لك أن تجيب بسرعة ، وبلا تردد .

الزبـــون

إيه ، هذا صحيح ، أنا متزوج ، وعندى أبناء ... اثنان ...

المستخدم

العمـــر ؟

الزبون (مغيظا ، يكاد أن يبكى)

أوه ! لا أعرف ، أنا ... ضع عشرة أعوام للبنت وثمانية للولد .

المستخدم

أنت ، عمرك أنت ؟

الزبـــون

ولكننى أخبرتك بتاريخ ميلادى قبل قليل !

المستخدم

تاريخ الميلاد والعمر شيئان مختلفان لكل منهما خانة مستقلة فى قسيمة الزبون ...

الزبـــون

آه .. هذا معناه أنكم تحررون قسيمة لكل من يأتى هنا ... لطلب معلومات ؟

المستخدم

بالتأكيد! وكيف يسير العمل دون ذلك ؟ وسألتك عن عمرك ! ... أجب ...

الزبـــون

إذن ، فانتظر . (يجرى عملية حساب ذهنية) ١٩٥٢ ناقص ١٨٩٧ .... ٧ من ١٢ يبقى ٥ - ٨٩ من ٩٥ يبقى ١٦ . أذن ٥ + ١٦ = ٢١ . كلا ١٦ و ٥ ، ١٦٥ سنة ! كلا .. هذا لا يمكن . لحظة . أبدأ من جديد ...

المستخدم (يرفع كتفيه استخفافا)

لا داعى ! أنا حسبتها ! عمرك ٥٥ عاما بالضبط

الزبـــون

نعم . هذا صحيح ، هذا صحيح ! شكرا ، يا سيدى !

المستخدم

لماذا لم تقل ذلك من البداية ؟ كم من الوقت يضيع مع الزبائن غير المدربين . والآن أخرج لسانك .

الزبون (مخرجا لسانه)

هــاك !

المستخدم

جيد .. لا شئ يستحق الذكر ... أرنى يديك !

الزبون (عارضا يديه)

هــاك !

المستخدم (ناظرا فيهما بامعان)

هوم ! خط الموت يقطع خط الحياة .. هذه علامة شؤم .. ولكن .. عندك خط العيش ! من حسن حظك ! .. هذا جيد .. يمكنك أن تذهب وتجلس ..

الزبـــون

كيف ؟ حتى الآن لا أستطيع أن أسألك عن بعض المعلومات ؟

المستخدم

ليس الآن ... انتظر حتى نستدعيك ..

(يغلق الشباك محدثا ضجيجا)

الزبون (يائسا وباكيا)

ولكن يا سيدى ، أنا مستعجل ! سيدى ! ... زوجى وأبنائى فى انتظارى ، سيدى .. كنت أريد ... أن أسألك .. عن بعض المعلومات العاجلة ، يا سيدى ! ... (فى هذه اللحظة يسمع

صفير قطار يتحرك) أنت ترى أننا فى محطة ، يا سيدى ، أو قريبين منها . كنت أريد بالضبط أن استشيرك بخصوص قطار استقله ، يا سيدى .

المستخدم (وقد لان ، فاتحا الشباك)

أكان ذلك بخصوص مواعيد القطارات ؟

الزبـــون

نعم . وأسئلة أخرى . أولا بخصوص مواعيد القطارات ، يا سيدى . لذلك فقد كنت على عجلة من أمرى .

المستخدم (فى غاية الهدوء)

لماذا لم تقل ذلك من البداية . ! ماذا تريد .

الزبـــون

حسنا .. كنت أريد ، يعنى ، كنت أرغب فى أن استقل القطار المتوجه إلى بروفانس ، لألتقى بقريب عجوز كان ...

المستخدم

القطارات المتوجه إلى إيكون بروفانس تتحرك فى الساعة ٦,٥٠ ، ٩,٣٠ (أولى وثانية فقط) والساعة ١٣ (تذاكر أسرة كثيرة العدد) والساعة ١٤ (للأعزاب) والساعة ١٨,٢١ (جميع الدرجات وجميع الأعمار وجميع الاجناس) .

الزبون (متابعا فكرته)

شكرا ، شكرا جزيلا . أجل ، كنت أريد أن أصل إلى إيكون بروفانس لألتقى بعمّ لى هناك وهو موثق عقود عجوز صحته تتدهور يوما بعد يوم ، ولكن ..

المستخدم

ادخل فى الموضوع ، أرجوك

الزبـــون

طبعا ، عفوا . كان ذلك لكى أصل إلى التالى : أحب ، بل أتمنى أن أضم إلى صدرى مرة أخرى عمى هذا المقيم فى إيكون بروفانس . ولكنى بدأت أتردد فعلا بين السفر إليه وبين السفر إلى مدينة بريست فالواقع أن لى فى «بريست» أبنة عم مريضة هى أيضا ، والحقيقة أننى أتساءل هل ...

المستخدم (بلهجة قاطعة)

القطارات المسافرة إلى «بريست» هى : حافلة الساعة السابعة ، قطار أزرق فى التاسعة ، قطار أخضر فى العاشرة ، حافلة الساعة الخامسة عشرة مع تغيير فى مدينة «رين» قطار ليلى فى الساعة العشرين ، ٤٥ دقيقة يصل «بريست» الساعة الرابعة و٣٠ دقيقة .

الزبـــون

آه ، شكرا ، شكرا جزيلا ، يا سيدى . طبقا لمعلوماتك هذه أراك تميل إلى زيارة ابنة عمى فى «بريست» ، أكثر من رؤية عمى العجوز فى إيكون بروفانس .

المستخدم (جافا)

أنا لم أقل شيئا من هذا القبيل .. أنا اعطيتك مواعيد القطارات ، فقط لا غير ...

الزبـــون

طبعا، ولكن إما أن أكون مخطئا ، وإما أننى شعرت بأنك تبدى نوعا من الميل ، نوعا من التفضيل لابنة عمى فى بريست . وأنا اشكر لك ذلك ، أجل ، أشكر لك ذلك ، مع أن ذلك سيكون على حساب عمى العجوز الذى أكن له حبا يمكن ...

المستخدم

ولكنك ، يا سيدى حرّ فى اتخاذ ما يحلو لك من قرارات . هذا شأنك ، سبحان الله ! أنا هنا لأعطيك المعلومات وحسب . (الزبون لا يرد . المستخدم ما يزال حانقا . ولكنه يضيف بنوع من التلطف) وأخيرا ، يا سيدى أجب !

الزبون (فى غاية الحزن والرقة)

لست أنا الذى ينبغى أن يجيب ، يا سيدى . وإنما أنت ... وأنا الذى طالما تمنيت نصيحة ، لأعرف ما ينبغى أن أفعله ... ما ينبغى أن أفعله ... أىّ وجه أتخذ .. أىّ قطار ... استقل ..

مكبر صوت (من بعيد ، بلهجة غريبة حالمة)

نرجو السادة المسافرين على جميع القطارات الاستعداد .. السادة المسافرون ، رجاء الانتباه .. السادة المسافرون ، القطار سيتحرك بعد قليل . القطار ، السيارة ، الجواد على وشك الرحيل .. انتباه ... استعدوا !

الزبون (يعود إلى سؤاله)

أجل ، أرجو أن أعرف أى وجهة أتخذ ... فى الحياة ... وبنوع خاص ...

المستخدم (ما يزال غاضبا ، قاطعا عليه الحديث)

أسرع ، ليس عندى وقت لأضيعه . ماذا تريد أن تعرف ؟

الزبـــون

لا أجرؤ على أن أقول لك ذلك ...

المستخدم

لسنا هنا فى مجال العواطف .

الزبـــون

أعتقد عكس ذلك فى المحطات ... فهناك الكثير من الذهاب والاياب ، الكثير من اللقاءات . فهذا مجال كبير للقاءات .

المستخدم

هل أنت على موعد مع أحد هنا ؟

الزبـــون

يعنى ، نعم ، ولا ، أقصد ...

المستخدم

امرأة ، طبعا ؟

الزبون (سعيدا)

نعم ، هو ذاك : امرأة .. كيف عرفت ذلك ؟

المستخدم (رافعا كتفيه)

من لباسك ، طبعا !

الزبـــون

كيف من لباسى ؟

المستخدم

أليس لباسك لباس رجل .

الزبـــون

بالتأكيد !

المستخدم

فاستنتجت من ذلك أنك رجل .. هل أنا مخطئ ؟

الزبـــون

كلا ، بالتأكيد .

المستخدم

حسنا ! إذا كنت رجلا ، فأنت تبحث عن امرأة . هذا شئ بسيط !

الزبـــون

يا للحصافة ! ... يا للوذعية ! وما أبسط ذلك : رجل ... إذن امرأة .

المستخدم

شئ بديهى ... ولكن عن أى امرأة تبحث ، عن أى نوع ؟

الزبـــون

امرأة من نوع «فتاة أحلامى»

المستخدم

انتظر حتى أنظر فى القسائم التى عندى .. قلت إن اسمك .. يبدأ بحرف الميم وينتهى بحرف الباء (يتصفح القسائم) ها هى ذى : امرأة سمراء اسمها «ريتا كاراكيلا» عبرت الشارع الساعة ١٥,٤٥ متوجهة ناحية الجنوب الغربى . هل هذا صحيح ؟

الزبـــون

لا أظن .. إن فتاة أحلامى أقرب إلى أن تكون شقراء ... شقراء بل صهباء . يعنى بين .. بين .. بين ..

المستخدم (يبحث مرة أخرى فى القسائم)

إذن ، لعلها تكون هذه . الآنسة «روزا بولفييه» ، عارية (مدققا فى القراءة) كلا ، آسف . عارضة أزياء ستجتاز ممر العمارة المواجهة غدا فى التاسعة صباحا ، فى طريقها إلى زبونه اسمها السيدة «كوشوا» التى ...

الزبون (حزينا)

كلا ! لا فائدة ، يا سيدى . لا يمكن أن تكون هذه . والا لما جئت إلى هنا

المستخدم

فى هذه الحالة ، أنا آسف : فليس لدينا أحد بين الساعة ١٥,٤٥ اليوم وغدا التاسعة صباحا ، يمكن أن ينطبق على حالتك . أهذا كل ما تريد ؟

الزبـــون

كلا ! ليس هذا كل شىء .. أريد أن أعرف رأيك ، بالضبط فى طريقة حياتى ..

المستخدم

فسر كلامك ! بعض التفاصيل ...

الزبـــون

بكل سرور .. أنا أصحو فى الصباح مبكرا .. وأشرب كوبا كبيرا من القهوة . هل هذا مفيد بالنسبة لصحتى ؟

المستخدم (مهيبا وبلهجة قاطعة)

أضف إليها قليلا من الحليب ، هذا أفضل .. وبصفةٍ خاصة من أجل الامساك ..

الزبـــون

آه ! طيب شكرا ! اسمح لى أن أسجل هذا !

(يسجل بسرعة فى مفكرته)

المستخدم

أكمل !

الزبـــون

من ناحـية أخـرى ، ولكى أصل الى مكتبى فى الصـباح ، اسـتعمل السكة الحـديدية ، قطار العاصمة ، وحينما يتاح لى الجلوس (وهو ما يحدث نادرا) أقرأ فى العادة إحدى الصحف الكبرى المتخصصة فى الإعلانات .

المستخدم (قاسيا)

لماذا ؟

الزبـــون

يعنى ، لا أدرى ، لقضـاء الوقت ، لكـى لا أنسى الهجاء .. لكى أكون على علم بمجريات ..

المستخدم

على علم بمجريات ماذا ؟

الزبون (دفعة واحدة)

كل شئ .. ما يجرى ... هنا وهناك ....

المستخدم

لا فائدة ! ليس هناك ما تعرفه . ثم إننا لا نستطيع أن نعرف كل شئ . أفضل لك أن تقرأ مجلة أطفال . هذا رائع فهذا ينقى الدم ويساعد على الهضم ويقلل من السمنة .

الزبـــون

حسن ، يا سيدى ، حسن ، أسجل أيضا هذه المعلومة القيمة (يسجل) قلنا : قهوة بالحليب ... من أجل الامـسـاك ... مـجلة أطفـال ، للهـضم .. (فى زفـرة) .. آه ! كل ذلك لن يعيـد لنا الفردوس المفقود !

المستخدم

اقرأ «ميلتون» أو الجزء الثالث من الكوميديا الالهية !

الزبـــون

أقرأ ذلك يا سيدى أقرأهذه الكتب الرائعة . ولكن الآفاق المترامية الأطراف التى تعرضها هذه الكتب لخيالاتنا لم اصادفها بعد بين ميدان المحطة الذى اسكن فيه وشارع الإسعاف حيث يوجد محل عملى ..

المستخدم

خذ طريقا آخر .

الزبـــون

لقد حاولت . لقد حاولت يا سيدى اتأكد من ذلك . ولكن الوضع لم يتغير ، لم يتغير بالمرة . بل بالعكس . فكلما ركبت المترو زاد اعتقادى بأن الفردوس يبتعد عنى ..

المستخدم

هل جربت اليأس ؟

الزبـــون

ألـ ... ماذا ؟

المستخدم (كأنه يخاطب شخصا أصم)

اليأس الميتافيزيقى .. يعنى القلق ، قلق اليأس ، أو التعامل مع اللاوعى أو وعيك الباطن ، «الإنسان السفلى»

الزبـــون

للأسف ! هذا ما أعرفه جيدا ، الانسان السفلى ! إنه يكثر بصفة خاصة فى طرق الأنفاق .

المستخدم

بالضبط .. ألم تشعر بنوع من الارتياح المعنوى وأنت تلاحظ مدى التشابه بين الفلسفات التعتيمية ، والنظريات الخاصة بالقلق واليأس ... مع ... أقصد مع حالتك ؟ هناك نوع من الاتساق ، من التوافق الجمالى ، الإسطاطيكى الذى من شأنه أن يدخل عليك البهجة والسرور ، أليس كذلك ؟

الزبون (وهو يهز رأسه)

بل قل إن تصوير الجحيم يردّنى إلى جحيمى اليومى ، بحيث إننى أغرق فيه كل يوم قليلا .
آه ... يا سيدى قلت ذلك بالأمس لرئيسى فى العمل :
لقد قال الشاعر «تيوفيل غوتييه :

لو كان للطيور أجنحة

لطـــــرت معهـــــا

أو شيئا قريبا من هذا .

المستخدم (رقيقا ولكن حازما)

ولكن ، عفوا ، الطيور ، لها أجنحة .

الزبون (وقد خاب أمله)

هذا صحيح ! ... إذن ما العمل ؟

المستخدم (بلهجة طبيعية جدا)

اشغل نفسك بعمل عظيم : كن رجل أعمال ، أو كن غازيا ، أو رجل دولة ! وسوف ترى : ستشعر بنوع من التحسن .

الزبـــــون

لقد فكرت فى ذلك كثيرا . ولكن ما الوسيلة ؟ الأمر ليس بسيطا إلى هذا الحد .

المستخدم

أوه ، مع قليل من التعوّد ! ... خذ مثلا .. أنا شخصيا : ألم أصل إلى مركز مرموق ؟

الزبون (باحترام)

هذا صحيح ! ... ولكننى لا أتمتع بقدرتك ، بنفوذك ... كلا ، أنا خلقت مـن أجل الأحلام..

المستخدم (بلهجة أمر عسكرى)

إذن ، فاحلم !

الزبـــــون

بالتأكيد ، أنا أحلم . أحلم كلما سنحت لى الفرصة . وبخاصة حلم اليقظة طبعا لأننى حينما أنام .. طبعا لا شئ ، فتحة سوداء . إذن فأنا أحلم بالنهار ، فى الشارع ، فى المطعم ، فى المكتب ، وهذا يساعدنى على الحياة : وللأسف أحلامى مهزوزة غير واضحة . أجل ، ينقصنى الوضوح أود أن أضفى عليها شيئا من التماسك ، مزيدا من الألوان .

المستخدم (بلهجة عادية وبلا تعاطف)

أنت مخطىء . لو كنت مكانك ، ووصلت إلى الدرجة التى أنت فيها ، لاجتزت بقفزة واحدة الهوة التى تفصلنى عن الحياة الأبدية .

الزبـــــون

ولكن ماذا تقصد بالحياة الأبدية ؟

المستخدم (بعظمة)

أقصد بذلك أن تحيا روحاً ، بالروح ومن أجل الروح ، واعتبار أحداث الحياة العارضة ، ما يجرى فى الواقع ، كأن لم يكن . هل تتابعنى ؟

الزبـــون

آه أتابعك يا سيدى . يا لحماستى وأنا أتابعك هكذا .. حتى نهاية العالم .

المستخدم (وقد أصبح شاعريا)

سأقودك إلى أبعد من نهاية العالم : هناك حيث الأشكال تتحول إلى أفكار ، حيث الكائنات تتحول إلى جوهر ، حيث يسود نور ثابت فى اتساق وتوازن بين مستقبل مضى فعلا وماضٍ آت .

الزبون (منتشيا)

إنى أرى ... إنى أرى ... أىّ أمطار من النجوم !

المستخدم (مصححا)

إنه حتى لم يعد هناك نجوم !

الزبون (وديعا)

إذن أى أمطار من عدم النجوم !

المستخدم (مندهشا)

أىَ عَدَم ! أىَ عَدَم ! أين أنت ؟

الزبون (بصوت غامض أشبه بطفل مفقود)

هنا ! .. هنا!

المستخدم (مبالغا)

خطأ .. أنت لم تعد هنا ولا فى أى مكان . أنت لست فى أى مكان .

الزبـــون

ومع ذلك فأنا أسمعك .. أسمع انعدام صوتك يقول عدماً من الألفاظ .. أنا لم أعد : أنا كنت .. لم أعد أتعذب : لقد تعذبت . لم أعد أعيش : لقد عشت .

المستخدم (قاطعا ولكن ملهما)

روحـــاً .

الزبون (باللهجة نفسها)

أنـــا روح .

المستخدم (باللهجة نفسها)

أنا أملك أجنحة الرح .

الزبـــون

أنا أطير بجوارك ..

المستخدم

وداعا ، أبتها الأرض الصغيرة ، وداعا ، وداعا .

الزبون (ملوّحا بمنديله)

وداعا ، يا فقاعة الأرض الصغيرة .

المستخدم (ملوحا أيضا بمنديله)

وداعا ، وتمنياتنا لك بالتوفيق فى الاستمرار ...

(ضجيج منبه إحدى السيارات يدوّى بطريقة مزعجة ، يتبعه انطلاق عدة سيارات ، يخرجهما من نشوتهما . ينظر كل منهما إلى الآخر باندهاش . ويشرعان فى الحديث بلهجة عادية) .

المستخدم

هـــيه ؟

الزبـــون

مـــاذا ؟

المستخدم

كيـف ؟

الزبـــون

عفـــوا ؟

المستخدم

كنا نقول ؟

الزبـــون

كنت أقول إن ...

المستخدم (مذعنا)

أنا أسمعك

الزبـــون

أنا ... عندى سؤال آخر ...

المستخدم

مـا هـــو ؟

الزبون (بمكر)

هو ذاك : فى رأيك : ماذا سيكون مصيرى ، فوق هذه الأرض ؟

المستخدم

لكى أتمكن من الإجابة على سؤالك ، لابد أن أطالع حظك (دقيقة ، من فضلك . (يبحث فى أوراقه) آه ! معلومة واحدة تنقصنى فى أى شهر ، وفى أى يوم ، وفى أى ساعة كان مولدك ؟

الزبـــون

أول مايو التاسعة ، ٣٥ دقيقة مساء .

المستخدم

جيد . والآن انظر مـاذا يكون : الأسد كان يدخل مع البقرة فى مجموعة كوكب الوطواط مـصـاص الدمـاء وغـاليليـو كـان يبـتـعد عن أبو زيدون ... ولكن أبناء إيمون الأربعـة كـانوا يتقدمون فى أبهـة وعظمة فوق تاج ميدوزا . وكان الباركليه يتحد مع لوسيفير ، حينما قامت السيدة والدتك بولادتك ..

الزبـــون

ماذا ؟ لقد وقعت أحداث شتى فى السماء لحظة مولدى .

المستخدم

لا تقل «لحظة مولدى» بل قل «من أجل» مولدى .

الزبون (مبتسما)

تُرى كل هذه التحولات السماوية ، ماذا أعدت لى ؟

المستخدم (باردا)

هذا يتوقف .

الزبـــون

كيف هذا يتوقف ؟ هل يمكن للقدر أن يتوقف على الملابسات ؟

المستخدم

لم تفهمنى جيدا . أريد أن اقول : هذا يتوقف على أسئلتك . فحسب أسئلتك أجيبك .

الزبـــون

آه ! طيب ! أنت تطمئننى .. شكرا ..

المستخدم (بطريقة تثير القلق)

لا شكر على واجب .

الزبون (وقد بدأ يشعر بالقلق ولكنه يحاول أن يضحك خفيفا ليطمئن نفسه)

ستجعلنى أعتقد بأنه ليس لى مصير .

المستخدم

لعل ذلك يكون أفضل .

الزبـــون

كفانا مزاحا .

المستخدم (متنتنا بأصبعه على طاولته)

فعـــلا .

الزبـــون

ما السؤال الذى ينبغى أن أوجهه إليك .

المستخدم (بلا تعاطف)

إذا كان ينبغى أن أوجه لك سؤالا لكى تعرف السؤال الذى ينبغى أن توجهه إلىّ فلن ننتهى أبدا . أنا لست أبا الهول ... ولا أوديب ..

الزبـــون

بالتأكيد .

المستخدم

ولا أنت كذلك

الزبـــون

مفهوم .. آه ! ماذا أقول ... آه وجدتها : سؤال بسيط سؤال عادى جدا . الموضوع ليس عاجلا وأمامى فرصة طويلة للتفكير فيه . سؤال عن مستقبلى : مثلا (مبتهجا) متى سأموت

(المستخدم بابتسامة رقيقة جدا وفظيعة جدا)

أخيرا ، وصلنا إلى المهم : خلال بضع دقائق ، يا سيدى العزيز . عند خروجك من هنا

الزبون (غير مصدق وساخرا)

آه ! حقا ! هكذا ! عند خروجى من هنا ؟ ولماذا ليس هنا بالذات ؟

المستخدم

سيكون الأمر صعبا فلا يوجد هنا ما ينبغى . لذلك لا أحد يموت هنا .

الزبون (مشيرا إلى نفسه)

آه ! لا يوجد هنا ما ينبغى لذلك ؟ ومدفأتك ، ألا يمكن أن تحترق ، أو أن تخنقنا ؟ والمبنى ، ألا يمكن أن ينهار فوق رؤسنا ؟ و ... مظلتك ؟ و ... حافظتك ؟ ومشنقتك هذه الصغيرة الحقيرة ؟

(يشير إلى الشباك . المستخدم يقفله بكل غلظة وقسوة ثم يفتحه فى الحال)

المستخدم

لقد وجهت إلى سؤالا ، وأنا أجبتك . الباقى لا يخصنى .

الزبون (رافعا كتفيه)

إذن ، سأوجه إليك سؤالا آخر : أليس هناك من وسيلة لتجنب كل ذلك ؟

المستخدم (حاسما)

أبـــدا .

الزبون (وهو ما يزال غير مصدق)

لا شئ أبدا ؟ لا شئ بالمرة ؟

المستخدم (بطريقة قاطعة)

لا شئ بالمرة .

الزبون (حادا على حين بغتة)

حسنا ... حسنا ... أشكرك .. ولكن ..

المستخدم

ولكن ماذا ؟ أظن أن هذا كل شئ ، أليس كذلك ؟

الزبـــون

يعنى ... كنت أريد أن أسألك متى ... أسألك إذا ... وأخيرا كيف ..

المستخدم (مقاطعا إياه)

متى ، وإذا وكيف ؟ (يرفع كتفيه) كنت أتصور أن سؤاليك الأخيرين ، أو بالأحرى إجابتى على هذين السؤالين ، تجعل جميع الأسئلة الأخرى بلا فائدة ، على الأقل فيما يتعلق بك أنت ...

الزبون (مذعورا)

إذن فهذا صحيح ! ...

المستخدم (منتعشا قليلا)

لو أنك كنت قد بدأت بذلك لكنت قد وفرت على نفسك وعلىَّ كثيرا من المتاعب . وكم من الوقت ضاع سدى !

الزبون (وقد عاد ذليلا هيأ بأ كما كان فى البداية)

إذا كان هذا صحيحا ، أوه سامحنى يا سيدى . الفضول ، أليس كذلك ؟

المستخدم (بخبث)

هذا حسن ! ولكن لا تكرر ذلك مرة أخرى ، هيه ؟

الزبون (بطريقة مؤثرة)

وا أسفاه !

المستخدم

جميع المعلومات التى طلبتها منى ، قدمتُها لك ...

الزبـون (متزلفا)

هذا صحيح ، يا سيدى ..

المستخدم

لا تشكرنى ، أنا قمت بواجبى .

الزبـــون

أه هذا صحيح .. أنت موظف مثالى ..

المستخدم (متواضعا)

أنا لا أبغى إلا شيئا واحدا : ارضاء الزبائن ..

الزبـــون

شكرا يا سيدى ، شكرا جزيلا .. من أعماق قلبى ... **(يتوجه إلى الباب ، ثم يغير رأيه)** المهم ، كم حسابى ؟

المستخدم (بعظمة وكرم)

لا تشغل بالك بهذا الموضوع فان الفاتورة ستصل إلى ورثتك .

الزبـــون

شكرا .. شكرا جزيلا .. إذن .. إلى اللقاء ، يا سيدى ..

المستخدم (ناهضا بنوع من الإحترام الجنائزى)

وداعا ، يا سيدى !

(الزبون يخرج بطيئا جدا ، ضد رغبته بطبيعة الحال ، .. ما أن يغلق الباب خلفه حتى يسمع نداء منبه سيارة ، وضجيج كوابح شديد ، وفى الوقت نفسه تقريبا صرخة ألم .. المستخدم يستمع لحظة ، يهز رأسه ، ويتوجه إلى جهاز المذايع . تسمع أغنية تافهة من الأغانى الشائعة . ثم يذهب ويجلس إلى مكتبه ويغرق فى أوراقه .

ســــــتارة

* * *

السيد أنا

Monsieur Moi

(حوار مع مخاطب بارع)

DIALOGUE
AVEC UN BRILLANT PARTENAIRE

السيد أنا ، شخص مدع يتشدق بالألفاظ .

المخاطب ، أشبه ببهلوان منبسط ألأسارير ، أبله أحمر الشعر يرتدى ملابس فضفاضة . لا يتحدث الا بـألفاظ التعجب والاندهاش .

(المشهد لا يمثل شيئا : غارق فى الظلام . الشخصان يصلان ببطء ، كل منهما يحمل مصباحا ينير وجهه بالذات) .

السيد أنا

أنت يا من ظل يصبحنى حتى هنا ، توقف ، لو سمحت ؟ كفى . ولا تتقدم أكثر من ذلك .

المخاطب

حسنا ، حسنا ، حسنا ، حسنا :

السيد أنا

ولنضع هذين المصباحين ، لننشط أصابعنا .

(يضع كل منهما مصباحه فوق الارض)

السيد أنا

هكذا .

المخاطب

أوف !

السيد أنا

حسنا فعلنا .

المخاطب (مصفقا مغتبطا كأنه يهنئ نفسه)

برافو ! برافو :

السيد أنا

طبعا ستسألنى لماذا توقفنا ؟

المخاطب

نعم ، ... طبعا

السيد أنا

كنت أتوقع هذا السؤال فعلا . أشكرك لأنك وجهته إلى . أنت دائما سباق .

المخاطب (طربا)

هيه ، هيه :

السيد أنا

عظيم : ولكن قبل أن أجيب على سؤالك ، أرجوك أن تتأملنى قليلا فى الوضع الذى أنا فيه ، أى بالضبط عند النقطة التى وصلنا إليها .

(المخاطب يرفع المصباح ويحركه فى كل الاتجاهات حول السيد أنا وهو يتأمله بانتباه)

السيد أنا

ضع هذا المصباح . ينبغى أن تتأملنى بعينى بصيرتك لا بصرك .

المخاطب (واضعا المصباح)

(يستجمع حواسّه ويركز انتباهه مقطبا ما بين حاجبيه)

السيد أنا

أجبنى : هل أنا كما ينبغى أن أكون : رجل عاقل ، بلغ منتصف الطريق ، ألست كذلك فعلا ؟

المخاطب (بكل مجاملة وزلف)

آه طبعا : طبعا ، طبعا

السيد أنا

هكذا اذن ، رجل عاقل ، يقيس ويقدر ، ويقارن ، ويجمع ، ويطرح .
باختصار يعكف على القيام بعمليات صحيحة : أهذا هو أنا ؟

المخاطب (حازما جازما)

واحد واحد ، بوم !

السيد أنا

ذلك على الأقل هو الانسان الذى كنته على الطريق التى كنا نسير فيها .
قبل أن نتوقف . ثم توقفنا ، أليست هذه هى الحقيقة ؟

المخاطب (وهو يمثل حركة التوقف)

كراك !

السيد أنا

حسنا : وكما أعرفك جيدا ، أشعر أنك ستوجه إلى مرة أخرى سؤالك الابدى : لماذا توقفنا ؟

المخاطب (وهو يشعر بالحرج)

أوه ، عفـــوا :

السيد أنا (وهو يهون عليه)

كلا ، كلا لا تعتذر : بل هنئ نفسك هنئ نفسك على مثابرتك وعلى حصافتك : لان القضية تكمن هنا . القضية الكبرى :
وهل تهرف بم سأجيبك ؟

المخاطب (كأنه تلميذ فوجئ بسؤال لا يتوقعه)

من ؟ أنا ؟ كلا ، كلا :

السيد أنا

سأجيبك بأننى لا أعرف لماذا توقفنا . لا أعرف السبب : (ثم باهتمام مفاجئ) ألا تشعر بالخوف ؟

المخاطب (معترضا بشدة)

أوه : كلا : كلا ، كلا ، كلا :

السيد أنا (مواصلا)

أقول ، لا أعرف لماذا توقفنا ، ولكن أنظر ، هذا بالذات ما توقفنا من أجله .

المخاطب (محملقا بعينيه وهو فى قمة الاندهاش)

أوف :

السيد أنا

معنى ذلك أن فى هذه المرحلة من رحلتنا كانت توجد عقبة : شئ يصعب شرحه ، شئ يصعب التغلب عليه ، شئ كثيف سميك اصطدمنا به .

المخاطب (بطريقة تنم عن ذكاء)

بوم :

السيد أنا

حسنا فعلنا . لقد اصطدمنا ، بالضبط ، بما كان يمنعنا من التقدم . ثم ان هذا العائق ، نحن لا نعرفه ، والامل ضعيف فى أن نتمكن من معرفته ... (كأنه يفيق من حلم) هيه ؟ ماذا ؟

المخاطب

ابدا ، لا شئ :

السيد أنا

كيف ؟ ظننت أنك تقول شيئا ؟

المخاطب

من ؟ أنا ؟

السيد أنا

نعم ، أنت .

المخاطب

أنا ، لا .

السيد أنا

اذن ، ربما أنا . أجل ، أنا ، لأننى كنت أقول لنفسى ان حياتى شئ غريب .

المخاطب (بشفقة)

للأسف :

السيد أنا

نعم ، يوجد فى حياتى شئ غير مفهوم شئ غريب ، قد يكون شيئا عظيما ، وقد يكون شيئا فظيعا ـ على أية حال ، هو شئ لا تعادل بينه وبينى ، ليس على مستواى . ومع ذلك فان حياتى كلها ، مفهوم ، حياتى كلها تعتمد عليه ، هو صلب حياتى .

(يصدر عن المخاطب صفير طويل يعبر عن ضخامة هذا الشئ) أفكر فيه فى أغلب الأوقات ، وفى كل مرة أشعر بالخوف ، لأننى لا أستطيع حتى أن احدس طبيعته أو أتخيل كنهه : قد يكون ذكرى سيئة ، حادث غريب عنى ومع ذلك فهو يجثم على ظهرى كأنه عبء أو حمل شخصى . لعله كان لحظة جنون تسربت الى داخل عقلى أو لعله شساعة لا شئ فى وسط كيانى .

المخاطب

أوه : أوه :

السيد أنا

ان خواطرك وانطباعتك تدل دلالة فائقة على الاهتمام الذى توليه لشخصى .

انك بحق سند كبير لى .

المخاطب (بتواضع مفتعل)

ايه : .....

السيد أنا

فعلا : لا تعارضنى : على أية حال ، أنت صاحبتنى بالتمام والكمال حتى هنا ، هذا شئ لا خلاف فيه . واذا كنا قد توقفنا ، فمن المؤكد أن الذنب ليس ذنبك

المخاطب

آه كلا :

السيد أنا

بل اننى أكاد أعتقد ، أن الذى أوقفنا هو هذا الشئ ، هذا الشئ نفسه الذى لا يتغير . ما رأيك؟

المخاطب (مرتبكا)

والله : ...

السيد أنا

فى رأيى ، هذا الشئ كان هناك . فى انتظارنا ، وسط الطريق ومع أنه كان هناك ، أمامنا ، الا أنه من المستحيل أن نعرف كنهه :

هل ترى أن هذا وضع محير بالنسبة لعقول مستنيرة كعقولنا ؟

المخاطب (عاليا)

آه ، هذا صحيح :

السيد أنا

سأجعلك تتعجب أكثر وأكثر ، أنا ، أنا الذى يحدثك وتجيبه أنت بكل لياقة ولباقة ، أنا الذى يشعر بالخوف من هذا الشئ الغامض ، أستطيع على الأقل أن يكون لى الرجحان ، فأحيط بهذا الشئ ، أطوقه ... هل تدرك ذلك ؟ أستطيع أن أطوق هذا الشئ بعقلى ...

أنت تفهم ما أقول ، أليس كذلك . بعقلى ؟

المخاطب (كالصدى الضعيف)

بعقلى .

السيد أنا

وبقدمى ايضا . هل تفهمنى ؟ بقدمى .

المخاطب (الاداء نفسه)

بقدمى .

السيد أنا

وحينما أكون قد لففت حوله ، حينما أطوقه ، أستطيع فجأة وبحركة شديدة ، مثل النشال ، استطيع أن أضع الشئ فى حقيبتى : لا من رأى ولا من سمع : قضى الأمر.

السيد أنا (مفتونا ، وكأنه ينتشل شيئا)

هـوب : .....

(يفرك يديه مغتبطا)

السيد أنا (فى صفاء)

وحقيبتى فوق ظهرى ، أستطيع بعد ذلك أن أواصل سيرى :

المخاطب (فى قمة السعادة)

عظيم : هائل :

السيد أنا (وقد عاد الى الجد)

على فكرة ، انها لراحة كبرى أن تستطيع تطويق ما يهددك . أنا أقصد التطويق بالفكر بمجرد صورة ، وربما بحركة ..... لا ألقى بنفسى فى التهلكة : كيف أتمكن من ذلك ؟ ولكننى أقوم بتطويق أطرافها ، وحينما أتأكد أن جنونى ، مع جنون العالم ، مستقر فى عقلى ، حينما أسقط فى نظرى هذه السماء الكبرى الغامضة التى تختلط بظلماتى ، حينما تتشبث حياتى بانقاذ رمادى ، حينئذ ألم جميع الصواعق فى خيط واحد مع جريمتى المجهولة فى براءتى الملكية . وأنام راضيا ملء الجفون

المخاطب (بمجهود خارق)

وبعد ؟

السيد أنا (وقد أفاق من خضم التفكير)

هه ؟ ماذا ؟ ماذا تعنى بـ : وبعد؟

المخاطب (مشيرا الى الطريق)

وبعد ، اذن ... نمضى ؟

السيد أنا

نعم ، نمضى ، كما يقولون ، نمضى عن العقبة نتملص منها . يوجد على مقربة من هنا ممر . سندخل فيه بلا رهبة . ولكن ولا كلمة ، ولا صوت : ولنحذر الجرف والردم : صه ... صه :

المخاطب (وقد وضع أصبعا فوق شفتيه)

صه : هس :

السيد أنا

صـه : هـس :

المخاطب

صـه : هـس : هـس :

(يأخذ كل منهما مصباحه ويسيران على أطراف الاصابع وهما يلفان الواحد وراء الآخر)

باريس ١٩٥٠

ســـــتارة

* * *

أوزوالد وزينايد أو التجنيبات
Oswald et Zénaïde ou Les Apartés

الشـــــخوص :

أوزوالـــــد : فى العشرين من عمره ، خطيب زينابيد .

زينابيـــد : فى العشريين من عمرها ، خطيبة أزوالد .

السيد بوميشون : فى الستين من عمره ، والـد زينابيـد .

المذيـع

المذيع (أمام الستارة المغلقة)

هذه المسرحية تعمد إلى المبالغة فى عرض أُسلوب مسرحى قديم يعرف بالتجنيبات * .

فهى تعارض بطريقة كوميدية بين الضعف الذى يسم العبارات التى تتبادلها الشخوص «بصوت مسموع» وبين طغيان «التجنيبات» التى تقولها الشخصية على حدة .

(المذيع ينسحب . الستارة تفتح . المشهد يمثل حجرة إستقبال بورجوازية فى الريف عام ١٨٣٠ تقريباً . حينما تفتح الستارة ، تكون «زينابيد» وحدها ، غارقة فى أفكار حزينه وهى ترتب باقة من الزهور فى وعاء . يسمع طرق على الباب جهة اليمين) .

زينابيد (بصوت مرتفع)

من هناك ؟ (فى تجنيبة) المهم ألا يكون «أوزوالد» خطيبى ! فأنا لم أرتد الثوب الذى يحبه ! ولكن ما الفائدة ؟ بعد كل ما حدث !

---

*يعرف هذا الأسلوب أيضاً بالتحدث على حدة أو انفراد . ويكون ذلك حينما يتكلم الممثل فى حضور شخصية أخرى حديثاً لا تسمعه هذه الشخصية لسبب أو لآخر . (المترجم) .

صوت أوزوالد (فى الخارج)

أنا أوزوالد !

زينابيد (فى تجنيبة)

للأسف إنه هو ، إنه أوزوالد فعلا . (عاليا) أدخل يا أوزوالد (فى تجنيبة) هكذا حظى ! ماذا يمكن أن أقول له ؟ لا يمكننى بأية حال أن أخبره بالحقيقة المؤلمه .

(يدخل أوزوالد . يبقى لحظة عند العتبة ويتأمل زينابيد متأثراً)

أوزوالد (عاليا)

آه زينابيد ، زينابيد ! (فى تجنيبة) ماذا أقول لها بعد ذلك ؟ إنها فى غاية الثقة والاطمئنان ! لا يمكن أن تواتينى القسوة لأعترف لها بالقرار الخطير الذى تم اتخاذه بدون علمها !

زينابيد (متوجهه نحوه وباسطة له يدها ليقبلها ، عاليا)

صباح الخير يا أوزوالد (فى تجنيبة ، فى حين يركع أوزوالد ويقبل يدها بحرارة) أمن الممكن أن يكون كل شئ قد إنتهى ! آه ! بينما يضغط على يدى بشفتيه ، يا ألهى ، لا تطل شقائى ، واجعل هذه الدقيقة التى تبدو لى كأنها قرن كامل ، تمر أسرع من طائر النورس فوق البحر الهائج .

أوزوالد (ناهضا ،بينما تسحب زينابيد يدها فى رقة ، عاليا . بعمق)

صباح الخير يا زينابيد ! (فى تجنيبة) آه ! هذه الحركة التلقائية الرائعة الأبلغ من أى خطبة مهما طالت ! لقد كنت دائما أحب السكون الذى تنشره حولها : لكأنى بهذا السكون يضطرب بألفاظ سحرية لا تسمعها الأُذن ، ولكن الروح تدرك معناها .

زينابيد (عاليا ، برقة)

إجلس يا أوزوالد ! (فى تجنيبة) يصمت ، المسكين ! كأنى أسمع نبض قلبه المتلاحق، على شاكلة قلبى . ومع كل فهو لا يعرف شيئا ومايزال مؤمنا بالرباط الذى يجمع بيننا .

(تجلس)

أوزوالد (جالسا على مسافة منها)

شكراً ،يا زينابيد (فى تجنيبة) لعل هذا الكرسى قد أعد خصيصا من أجلى . البنت المسكينة كانت فى إنتظارى ولا يمكن أن تدرك سبب زيارتى .

(تسمع ساعة كنيسة القرية تدق خمس دقات)

الساعة الآن الخامسة ! (فى تجنيبة) ولكن الليل قد غشَى قلبى !

أوزوالد (عاليا ، بلهجة تريد أن تكون عادية)

آه فعلا ، الساعة الآن الخامسة (فى تجنيبة) بالنسبة لى ، هذا فجر المحكوم عليهم بالإعدام !

زينايد (عاليا)

لا يزال الوقت نهارا ! (فى تجنيبة ، بطريقة بلهاء كمن يردد بعض أمثلة النحو) ولكن نباتات العليق المتسلقة بدأت تغلق تويجاتها ، وجدتى تفضل زهر البازلاء الخضراء البرية ، والبستانى قام بترتيب أدواته .

أوزوالد (عاليا ، متنهدا)

إنه الربيع يا زينايد ! (فى تجنيبه ، بلهجة حزينه تشبه الهذيان) فى نصف الكرة الآخر ، الشتاء ! وفى الكنغو ، سكان القطب الشمالى يجتمعون حول طبقة جليد عائمة! وفى الصين يذهب الألمان إلى الحانات لأحتساء البيرة ، أما فى كندا فإن الأسبان يرقصون رقصة السيجيديلا .

زينايد (عاليا ، متنهده)

أجل ، الوقت نهارا (فى تجنيبة ، شاردة) هذا السكون يرهقنى .عصاة عمى كان لها قبضة ذهبية ، الماركيزة خرجت الساعة الخامسة ، عقلى يشرد ! هل ينبغى أن أقول له كل شئ ؟ أم ينبغى أن ألقى طاقيتى فوق الطواحين ؟

أوزوالد (عاليا برقة)

الوقت نهار . لقد سبق أن قلت ذلك يا زينايد (فى تجنيبة ، فى سورة) هاأنذا الآن شرسة فظة : نار وشيطان ، دماء وجحيم . الساحرات يذهبن إلى إجتماعهن ، القمر يركض فى الأشجار الشائكة ! هيا ، الهدوء ، الهدوء ! قد يكون الأفضل لى أن أصرح له بهذا السر الذى يخنقنى .

زينايد (فى تجنيبة)

لم أعد أطيق ذلك !

أوزوالد (فى تجنيبة)

شئ لا يطاق !

زينابيد (فى تجنيبة)

إنى أموت .

أوزوالد (فى تجنيبة)

أكاد أجن .

زينابيد وأوزوالد (فى تجنيبة معا ، فى قمة اليأس)

وا أسفاه ! إن أسرتى لا توافق على زواجنا .

(صمت طويل ، الساعة تدق ست دقات)

زينابيد (عاليا)

ماذا قلت ؟

أوزوالد (عاليا)

أنا ؟ أبدا !

زينابيد(عاليا)

آه ! حسنا ! كنت أظن . . .

أوزوالد (عاليا)

يعنى . . .

زينابيد (عاليا)

ماذا ؟

أوزوالد (عاليا)

أوه ! لا شئ مهم !

زينابيد (عاليا)

ماذا إذن ؟

أوزوالد (عاليا)

لاشئ تقريبا .

زينابيد (عاليا)

صحيح ؟

أوزوالد (عاليا)

نعم ، حقا ! ثم إننى سأكتب لك . (فى تجنيبة) ليت أن رسالتى لا تصل إلى غايتها ، ولا تخصّب هاوية النسيان بينما أذهب إلى صحراء أستراليا بحثا عن كنز أقل قيمة من الذى يضيع منى .

زينابيد (عاليا)

ربما أرد على رسالاتك ! (فى تجنبية) ستكون الرسالة الأخيرة التى أوجهها إلى العالم قبل أن أدفن شبابى اليائس فى أحد الأديرة .

أوزوالد (بانفعال)

إلى اللقاء يا زينابيد ، (فى تجنيبة) الخبّاز يعجن العجين ، والفارسة تمطتى صهوة الجواد ، والملاح يضبط الشراع ، والمداخن تطلق الدخان ، والشمس ترسل أشعتها ، أما أنا فينبغى أن أودع الفتاة التى أحبها .

زينابيد(عاليا ، والدموع فى صوتها)

إلى اللقاء يا أوزوالد ، (فى تجنيبة) لم أعد أدرى كيف أفكر . لم أعد أدرى ماذا أقول ، إننى أشبه ورقة الخريف التى تسقط ليلا فوق المستنقع !

(فى هذه اللحظة يفتح الباب فجأة . يدخل برجوازى ضخم البطن ، مهندم ، منفرج الأسارير . إنه السيد بوميشون) .

السيد بوميشون

آه ، يا أولادى ، آه ! لقد ضبطكما !

زينابيد (فى تجنيبة مذعورة)

يا إلهى ، إنه أبى .

أوزوالد (فى تجنيبة)

الذى كان من المفروض أن يصبح حماى .

السيد بوميشون

هيا ! هيا ! لا تخافا . لن آكلكما . سبحان الله . . . فى مثل سنكما ، وفى مكانكما ، كان من المفروض أن تكونا قد أخذتمانى بالأحضان منذ فترة طويلة . . .

زينابيد وأوزوالد (معا ، عاليا)

ولكن ، ما معنى هذا ؟ . . .

السيد بوميشون

معنى هذا ، يا عصافيرى الصغيرة ، معنى هذا يا كتاكيتى الصغيرة ، أنكما كنتما ضحية ملعوب لطيف ظريف ، معنى هذا أننى جئت الآن لأصلح كل شئ بالنيابة عن أمك يا عزيزتى زينابيد ، وبالنيابة عن أبيك يا عزيزى أوزوالد . كنّا قد قررنا أن نضع عواطفكما أمام الإختبار ، أن نمتحن مشاعركما . حينما ظننتما أنكما فقدتما كل شئ، لقد أثبت لنا حزنكما أن حبكما المتبادل لم يكن من النوع الذى يشبه نار الهشيم التى تنطفئ بسرعة ، من تلك العواطف التى لا تعمر أكثر من يوم واحد ، من تلك . . . من تلك الأشياء التى لا تستمر طويلا والتى . . . ولكن ، ألا تقولان شيئا ؟ يا لكما من خَرْجَيْن ! هل أصابكما الذهول !

زينابيد (فى تجنيبة)

يا إلهى ! هل مثل هذه السعادة ممكنة ؟

أوزوالد (فى تجنيبة)

بارك الله اليوم الذى وَلَدَت فيه جدة خطيبتى حماى .

السيد بوميشون

حسنا ! حسنا ! إننى أرى أن الإنفعال قد قطع أنفاسكما . أيها الخُرْجان ! فى سنكما وفى مكانكما ، كان من المفروض أن تكونا قد عانقتمانى ! المهم ، باختصار ، لن ألح عليكما . سأترككما للسعادة التى حلت عليكما . غدا سنتحدث عن حفل الزفاف . . . هذا إذاإستعدتما القدرة على الكلام . هيا ! إلى اللقاء يا بلابلى الصغيرة ، إلى اللقاء يا سنانيرى الصغيرة . .

(يربت خد زينايد ، يدفع أوزوالد دفعة رقيقة وينصرف ضاحكا ، صمت ، زينايد وأوزوالد يظلان واقفين متجاوريين ، ثم :)

أوزوالد (عاليا ، بحرارة)

أيها الربيع ! يا شباب العام ! أيها الشباب يا ربيع الحياة ! (١)

زينايد(فى تجنيبة)

ما هذه اللغة الغريبة ! أنا لا أفهم ما يقول . ولكن ثمة نبرة بهْجة رجولية تشع فى كلماته . (عاليا) أوه ! من أكون لكى أكون قد رأيت ما رأيت ، لكى أرى ما أرى ! (٢)

أوزوالد (فى تجنيبة)

ماذا تقول ؟ ما هذه اللغة الغريبة ؟ يا موسيقى الصوت الحبيب ! إن رخامتها تهز أوتار قلوبنا حتى دون أن نفهم لألفاظها معنى . (عاليا) الساعة الآن الخامسة ، يا زينايد !

زيانيد (فى تجنيبة)

يا إلهى ! ها هو يخطئ مرة أخرى فى تحديد الوقت . ولكن يجب أن أتعلم كيف لا أعارض زوجى . (عاليا) نعم ، إنه المساء قد هبط يا أوزوالد !

أوزوالد (فى تجنيبة)

يا إلهى ، كلا ، إن النهار ما يزال فى منتصفه ، ولكن لا ينبغى أن نعارض الزوجات بأية حال (عاليا) ها أنت ذى قد أصبحت لى ، يا ملاكى العزيز ؟

زينايد (فى تجنيبة)

خطأ آخر ، إنه هو الذى أصبح لى ، ولكن لا أهمية ! (عاليا) نعم ، ها نحن قد أصبحنا لأنفسنا ، أنت وأنا !

---

١) يقول هذه العبارات باللغة الإيطالية : O Primavera ! Gioventu' dell ' anno ! O Giuventu' ! Primavera della vita .

٢) يقول هذه العبارة باللغة الإنجليزية : Who is me to have seen what I have seen ; to see what I see !

أوزوالد (فى تجنيبة)

لأنفسنا ، تقول لأنفسنا ! هى لى ، وأنا لها ، نحن لأنفسنا (عاليا) إلى الأبد ؟

زينايد (فى تجنيبة)

إلى الأبد (عاليا) مدى الحياة ؟

أوزوالد (فى تجنيبة)

حتى الموت .

ســـــتارة

* * *

كان هناك جمهور غفير فى القصر
أو
المونولوجات

Il y avait foule au manoir
ou
LES MONOLOGUES

الشـــخوص :

تحمل هذه المسرحية على أسلوب المونولوجات فى المسرح ، وتبرز ما يتسم به هذا الأسلوب من الإصطناع الذى قد يثير الضحك . لذلك فمع أن المسرحية تضم عدة شخوص ، غير أننا لا نلتقى إلا بشخصية واحدة فقط فوق المنصة . وعلى ذلك فمن الممكن أن تؤدى المسرحية بواسطة ممثلين إثنين فقط ، رجل وإمرأة يتقمصان بالتوالى وعلى وجه السرعة مختلف الأدوار ، وذلك بفضل آستغلا ل الملابس وسحن الوجوه .

أدوار يقوم بها ممثل واحد :

«دوبوا – دوبون» ، مخبر سرى .

عامل الحجرة الأول ، نحيف ورشيق .

عامل الحجرة الثانى، ضخم وخبيث .

أدوار تقوم بها ممثلة واحدة :

البارونة ز . . .

«ميس إيسّيبيه» ، إحدى مدعوات القصر صديقة البارون .

عاملة الحجرة الأولى ، جميلة وأنيقة .

عاملة الحجرة الثانية ، ضخمة وغليظة .

المشهد يقع فى عام ١٨٨٠ تقريبا . المنظر يمثل حجرة عادية ، قاعة فى قصر ريفى . فى أقصى المنصة وعلى اليمين واليسار بابان كل منهما يؤدى إلى حجرة إستقبال . فى قاطوع اليمين بلاكار ضخم . تسمع من بعيد موسيقى ڤالس قديمة . يدخل «دوبوا – دوبون» . الموسيقى تتوقف بمجرد أن يبدأ فى الكلام .

«دوبوا – دوبون» (يرتدى سترة صوفية بمربعات ضخمة وعلى رأسه كاسكيت طراز إنجليزى . يمسك بيده غصن شجرة مورقا)

أقدم نفسى : أنا المخبر السرى «دوبوا» . مشهور باسم «دوبون» وذلك بسبب التشابة بينى وبين رجل الشرطة الانجليزى الشهير سميث . هذه بطاقتى : «دوبوا – دوبون» رجل ثقة وشك فى وقت واحد . يحصل على مفاتيح الألغاز والخزائن . يفسد العلاقات الزوجية ويصلحها ، حسب الطلب . بأسعار متواضعة .

أسباب وجودى هنا خفية طالما ... خفية ... ولكنكم ستعرفونها بعد قليل . لن اتحدث عنها أكثر من ذلك . وسألزم الصمت . هس !

يكفى أن اقول لكم إننا هنا فى إحدى أمسيات الربيع الجميله (يشير الى غصن الشجرة) فى قصر البارون « ز » ... «زين» مثل «زير» و «زفير» ... (يضحك بصورة بلهاء) هس ! فهذا يمكن أن يضعك على الطريق .

وكما يمكن ان يتناهى الى اسماعكم ، فالبارون وزوجته الفاتنه ينظمان هذا المساء حفلا راقصا رائعا . الحفل الآن على أشده . وهناك جمهور غفير فى القصر .

(يسمح فجأة موسيقى الفالس التى تبدأ على الفور تصاحبهاالضحكات والصيحات ورنين الكؤوس . ثم يتوقف كل شئ على حين بغته) .

هل سمعتم ؟ شئ غريب ! إن ضجيج الحفل يتوقف فجأة حينما أتكلم . وحينما أسكت يعود الضجيج من جديد .

(بالفعل . بمجرد أن يسكت تعود ضوضاء الحفل ، ثم تتوقف)

أرأيتم ؟ ...

(موجة من ضــوضاء الحفل)

أسمعتم ؟ ...

(ضوضاء الحفل ...)

حينما اسكت ...(تسمع ضوضاء الحفل) ... تبدأ ... حينما ابدآ ، تصمت . شئ عجيب !

ولكن كفى كلاما ! أنا هنا لأداء مهمة خطرة . شخص واحد يعرف من أكون . الآخرون جميعا يجهلون هويتى . إن لى هويات كثيرة ! أقصد أنهم يتصورونني شخصاً آخر .

الجريمة - لأن هناك جريمة ستقع - لم يتم ارتكابها بعد . ومع ذلك ، وهذا شئ غريب ، فأنا المخبر ، هاأنذا موجود فى المكان االذى من المفروض أن تقع فيه الجريمة ! ... لماذا ؟ ستعرفون ذلك فيما بعد .

سأختفى لحظة عن الانظار ، لكى أختلط بجمهور المدعوين الرائع دون أن يعرفونى . كم من الجواهر والأحجار الكريمة ! والشموع والحراير والباروكات ! ولكن هناك شخص قادم ! ... هس ... سأختفى . قبل أن يرانى ويعرفنى .

(يخرج من جهة اليمين ، على اطراف اصابعه ، وأصبعه فوق شفتيه . بمجرد خروجه. يفتح باب اليسار لتدخل منه البارونه « ز » ... الفاتنة .. فى ثياب السهرة .

البارونة « ز » ...

أنا البارونة ز .. الفاتنه . أجمل نساء المدينة . الجميع يحسدوننى ويتقربون منى ويتملقوننى . انظروا إلى ثوب السهرة هذا الذى ارتديه على شكل النعامة الأفريقيه بهذه الكروشيهات المطرزة ، وهذا الكورساج من اللانوليه المسنن . وجواهرى ، جواهرجى المشهورة فى

المنطقة كلها . هذا العقد الفريد المتلألــئ . وهذه السلسلة طراز لويس السادس عشر ، اليست أجمل ما فى الوجود ؟

(مكتئبة فجأة)

ذلك هو سبب حزنى لهجران زوجى لى . انه لا يفكر الا فى الصيد . فى الصيف ، يقضى الساعات الطويلة فى طين المستنقعات فى انتظار خروج حيوان برى . وفى الخريف يركض وراء الخراف المتوحشة . تلك هى هواياته المفضلة التى يقضى فيها أوقات فراغه .

(تتنهـد)

ومع كل ، فأنا هنا بعيدة عن صديقات الطفولة ، أشعر بالضيق هنا فى هذا القصر البارونى ، فأنا لا أحب اللعب ولا الموسيقى ولا القراءة . اننى أشعر بالضيق . أو بمعنى أصح شعرت به حينما فكر البارون على حين فجأة فى أن ينظم هنا حفلا راقصا ! حفل راقص ! يقيمه هو ، الصياد . حفل راقص فى هذه المنطقة المعزولة ! كانت فكرة غريبة ! مازلت مذهولة منها – ومفتونة أيضا . لأنه ينبغى أن اعترف بالحقيقه الواضحة : هذه أجمل سهرة فى حياتى ، الحفل على أشده وهناك جمهور غفير فى القصر ! هيا ، فلأسرع إلى القاعة الكبرى لكى أهتم بالمدعويين ! يا ألله ، ماأجمل هذا اللهو .

(تخرج من حيث دخلت . من جديد تسمع موسيقى الحفل .على حين فجأة ، يسمع صرخة حادة ، صرخة إمرأة تطغى على ضوضاء الحفل التى تتوقف على الفور . باب اليسار يفتح فجأة) .

عاملة الحجرة الأولى (تدخل من اليسار . رشيقة وجميلة)

أنا عاملة الحجرة الأولى . كان البارون يغازلنى أحيانا . كان يحب لون شعرى ! . . . ولكن لماذا أتحدث عن كل ذلك ؟ . . . البارونة تشعر بتوعك . فلأسرع إليها ببعض النشادر وبأحد الأطباء .

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الأول (يدخل من اليمين ، يرتدى شرابا أبيض ، قفازا أبيض ، شعرا مستعارا ، شاب ومتكلف)

ياله من حداد لنا جميعا ! أمن المعقول أن يحدث مثل هذا ! مساء حفل راقص ! وأنا الذى

كنت أحب سيدى حبا كثيرا ! آه ، نسيت أن أخبركم بأننى عامل الحجرة الأول ! الأول ! وظيفة فخرية .

(يخرج من جهة اليسار)

عاملة الحجرة الثانية (تدخل من جهة اليسار . ريفية ممتلئة ، تتحدث بغلظة)

أنا ، جوليا ، عاملة الحجرة الثانية . كما أشرف على المطبخ . سيدى المسكين كان يحب أن يوجه إلىّ بعض عبارات الغزل فى بعض الأركان ! . . كل ذلك ، بسبب سيدتى، هى المخطئة . فهى لا تحب الصيد . ولا تحب أكل الحيوانات والطيور التى يصطادها سيدى ببندقيته ، وعلى ذلك فقد سار سيدى فى ذلك الطريق .

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الثانى (يدخل من جهة اليمين ، يعرج . له شوارب وسوالف) .

قد لا أكون سوى عامل الحجرة الثانى فى القصر . ليكن . ومع ذلك فأنا أعرف عن هذا القصر أكثر مما يعرف الكثيرون ! منذ فترة طويلة وأنا أشك فى شئ معين . وهذه هى النتيجة، لم أحاول أن أخبر أحداً بأى شئ ! ولذلك لم يعرف أحد أى شئ .

(يخرج من جهة اليسار)

مِسْ إسيّبيه (تدخل من جهة اليمين شابة جميلة تتكلم بنبرة أمريكية واضحة) .

أنا سيدة الأقدار فى هذا القصر . يسموننى مسْ إيسّيبيه . إننى أحبه ، أعبده بخزائنه وقمصانه ! . . . فلأتظاهر بإنقاذ البارونه ! ولكننى سرعان ما أركب القطار . وفى إنتظار ذلك لنبحث عن الملح والخل !

دوبوا – دوبون (آتيا من جهة اليمين ، فى ثياب السهرة ويمسك فى يده قبعة)

الموضوع يتعقد والسر يزداد غموضا ! . . . بفضل تدبيرى الشيطانى . البارونة «ز» .. تلقت وهى فى قمة الحفل الراقص خبر موت زوجها . هل هى جريمة ؟ هل هو إنتحار ؟ إن جمهور المدعوين الذى مايزال يملأ قاعات القصر يتساءل . يحاول أن يحصل على إجابات لهذه الأسئلة وهو يشعر بالجزع والحزن . اسمعوا ! . . .

(من خلال الباب الذى ترك مفتوحا . تسمع أصوات مختلفة تتساءل)

جريمة ؟ . . . إنتحار ؟ . . . كلا ، من غير المعقول ! مستحيل ! . . . . لقد انتحر . . . كلا

، كلا . . . بلى ! . . . أهو انتحار ؟ . . جريمة بكل تأكيد ! إذن فلنبحث عن القاتل!

دوبوا – دوبون (وهو يفرك يديه راضيا مسرورا)

عظيم ! هائل ! ها هى ذى العملية تسير فى الطريق المرسوم ! . . . ولكن هناك شخصاً قادما ! . . . بسرعة ! يجب أن نختفى فى دهاليز هذا القصر المتعرجة المتربة ، هذا القصر الذى نعرف مخارجه السرية بكل دقة .

(يختفى جهة اليمين)

مِسْ ايسّيبيه (تظهر من جديد من ناحية اليسار تمسك بيدها كتابا) .

لقد نشرتُ الملح والخل فى صدر الوصيفة لكى تدغدغ خياشيم البارونة . ثم (مشيرة إلى الكتاب) أخذت دليل السكك البخارية . مادام الموت قد نجح «اجْزاكتلى» وبوسعى أن أرحل وأنل مطمئنة . لن يظل حبيبى مزروعاً فترة طويلة على رصيف المحطة .

(يسمع ركض جواد يبتعد)

هاهو ذا الجواد الذى يحمله ! عاش السمّور ذو الوبر الطويل الذى يرعى فى ولاية أوكلاهوما !

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الأول (داخلا من جهة اليمين)

هذه الآنسة الأمريكية نوع سئ من النساء . للأسف ! كان سيدى يضعف أمامها ! كانت تأتى دائما فتتمسح به ، ياللفظاعة ! وأنا ، كان على دائما أن أنفض تراب الأرز الذى كانت تتركه فوق ملابس سيدى . خسارة ! سيد لطيف كهذا !

(يخرج من جهة اليسار) .

عاملة الحجرة الثانية (داخلة من جهة اليمين . تحمل ملاحة ووعاء خل)

ماذا تريد منى أن أصنع بهذه الملاحة وهذه الخلألة ، تلك الحيوانة البليدة ؟ تريد أن تحمّس ! بوزها الصغير لا أحبه ! ولِكن لِكم أن تصدقونى إذا شئتم ، ولكننى لا أصدق كلمةً واحدة فى هذه القصة . سيدى طريح ميت فى الحديقة .

هو الذى كان يفيض حياة قبل ساعة واحدة . شئ عجيب ! ثم من الذى شاهدها . . . الجثه

طفل صغير كان يتسكع هناك ، لا أحد يدرى لماذا . خاف حينما شاهد رجلا مطروحا على الأرض من يدرى ؟ ربما كان أحد المدعوين خرج يتنسم الهواء البارد . ثم ما قصة هذه القبعة المحشورة فى رأسه ؟ هل هذه طريقة نقتل بها إنسانا ؟ أو حتى ننتحر بها ! شئ عجيب !

(تخرج من جهة اليسار وهى تهز كتفيها إستخفافا)

عامل الحجرة الثانى (داخلا من جهة اليسار)

أنا لا أفهم شيئا من أى شئ حينما لا يكون هناك أى شئ . ولكن حينما يكون هناك شئ ما ، حينئذ فإننى أفهم . كل ما هناك أنكم قد تظنون أننى سأخبركم بما أعرف ؟ كلا ، ثم كلا . لن أخبركم بأى شئ ، بأى شئ . بأى شئ .

(يخرج من جهة اليمين)

عاملة الحجرة الثانية (داخلة من جهة اليسار)

هل كنت أحلم ؟ حينما كنت ذاهبة لإحضار الطبيب ، خيل لى أنى شاهدت فى الممر المظلم خيال سيدى البارون يمر أمامى ! أو على أية حال شخص آخر يشبهه بصورة غريبة . رجل فى حلة يسير بحذاء الجدران ثم يختفى فى الفرش والستائر . شئ يبعث على الجنون ! يالها من ليلة ، ياربى ، يالها من ليلة .

(تخرج من جهة اليمين . المنصة تخلو لحظة . الريح يأخذ فى الهبوب بشكل عنيف ويسمع هزيمه تحت الأبواب) .

البارونه «ز» . . . (داخلة من جهة اليسار وهى تتحدث إلى أشخاص فى الكواليس)

كلا ، شكراً دعونى ، أنا أشعر بتحسن ! أريد أن أبقى وحدى لحظة وأفكر فى هذه الأحداث الغريبة . (تغلق الباب) يالها من أمسية ! يالها من سلسلة من المفاجآت ! ذرة من السعادة والهناء تحطمت على أيدى القدر ! . . . ماكدت أشعر بالفرحة وسط جمهور المدعوين المتألق ، ماكدت أدور دورة أو دورتين فى رقصة الفالس ، حتى نزل علىّ الخبر الفظيع نزول الصاعقة ، على لسان طفّل برئ .آه ! سأظل آتذكر جو الفالس هذا ماحييت .

(يسمع لحن الفالس الذى سمع فى بداية الحفل ولكنه يكون خافتا كأنه حلم . ثم تسمع أصوات مختلفة تهمس قائلة : «جريمة ؟ انتحار ؟ جريمة ؟ انتحار ؟» البارونة تحلم لحظة وهى تمسح دموعها ، ثم :)

ولكن كيف يمكن أن نفهم هذا كله ؟ فى الساعة العاشرة ، يزعم طفل صغير أنه لمح جثة زوجى بلا حراك مطروحة على أرض الحديقة وقبعته الضخمة محشورة بشكل غريب فى رأسه حتى ذقنه ! وفى العاشرة وخمس دقائق حينما أسرع الجميع إلى مكان الجريمة كانت الجثة قد أختفت ! أيا كان الأمر ، فإن زوجى لم يظهر مرة أخرى فى القصر . ولكن من له مصلحة فى قتله ، وهو بكم هذا الثراء وهذه الثقة ؟ ولماذا ينتحر وهو الذى يعشق الصيد ؟ ثم هل يجوز لى أن أثق فى كلام طفل شعر بالخوف؟ إن هذه الألغاز تقتلنى ! إن رأسى المسكين يؤلمنى .

(طوال المنولوج الذى تلقيه البارونه ، الريح أكثر عنفا . وعلى حين فجأة ، كأنما بفعل تيار هواء عنيف ، يفتح باب ، البلاكار ، بحيث يتسنى للشخوص الموجودة على المنصة أن تشاهد ما بداخله دون أن يتمكن المشاهدون من ذلك . البارونه الغارقة فى أفكارها ، تذرع المكان جيئة وذهابا ، فتجد نفسها فى مواجهة البلاكار المفتوح . تطلق صرخة حادة وتفر هاربة من جهة اليسار . على الفور تظهر عاملة الحجرة الثانية وهى تجرى من جهة اليمين)

عاملة الحجرة الثانية

من الذى صرخ هكذا ؟

(تلمح البلاكار وتطق صرخة رعب)

يا الهى ! الجثة !

(تفر هاربة من حيث جاءت وهى ترسم علامة الصليب . على الفور يظهر من جهة اليمين عامل الحجرة الأول) .

عامل الحجرة الأول

اوه ! للأ ! مشنوق ! ولكنه سيدى ! نعم ، انه سيدى المسكين ! النجدة ! النجدة !

ويختفى من حيث جاء)

عاملة الحجرة الأولى (آتية من اليمين)

يا للفوضى ! ماذا هناك أيضا ؟

(تلتفت فتشاهد البلاكار)

أوه ! يا للهول ! ... (تتمالك نفسها وتسترد وعيها) هذا مظهر له كل سمات الواقع ! هيا ،

قليلا من الشجاعة ! فلاً حاول أن أنظر نعم ، أجل ، أنا اقول إن هذا ليس سيدى البارون (بصوت تريد أن يكون مطمئنا وهى ترفع ذراعها ناحية « الجثة » بطريقة مأساوية .) هذا شخص اراد أن يشبه سيدى البارون . ! ولكنه ليس سيدى البارون .

(تسمع صرخة حادة أخرى من بعيد)

هذه هى البارونة تمر بأزمة أعصاب حادة . ينبغى أن أحمل لها قليلا من النوشادر . وأنا ، هل من أحد يشمّمنى قليلا من النوشادر !

(تخرج بشجاعة من جهة اليمين . المشهد يضل خاليا لحظة . يسمع صراخ وأصوات أناس يتساءلون ، كما يسمع وقع أقدام . الريح تضاعف من شدتها ، وفجأة ، إذا بالجثة الجامدة الملفوفة وعلى رأسها القبعة المحشورة حتى الذقن ، تسقط من البلاكار ، ووجهها ناحية الأرض)

مس ليسيبيه (تظهر من جهة اليسار ، تجتاز المنصة بسرعة حتى جهة اليمين ، تخاطب الجثة)

لك شكرى وامتنانى ، أيها السيد الذى يجيد تمثيل جميع الأدوار . إن البارون الحقيقى الآن هناك بعيداً وسألقاه هذه الليلة فى ميناء بريست. أما أنت فستتسلم شيك من الحمام الزاجل . وداعا .

(تختفى من جهة اليمين على الفور « الجثة » تتلوى فوق الأرض وتحاول التخلص من أربطتها ، تنهض وتنزع القبعة التى تخفى وجهها ، فإذا بنا أمام « دوبوا - دوبون »سعيدا .

«دوبوا - دوبون » (وهو يعطس وينفض الأترية عن ثيابه)

أوف ! لا يمكن أن نتصور كمية الأترية المتراكمة داخل « بلاكار » فى قصر قديم ، خاصة إذا كان متصلا بسلم خفى لم يفتح منذ الحروب الصليبية ! سيعلمنى ذلك كيف أؤدى أدوار الأشباح .

خيرا ! أو شرا ! فى الوقت الذى أنا اختنق فيه تحت قبعة الجريمة (أو الانتحار ، فلن يعرف أحد الحقيقة) فقد فر البارون هاربا ولحقت به عشيقته المتآمرة الأمريكية .

جريمة أو انتحار ، لا يهم : أيا كان الأمر ، فان الموت المفاجئ الذى أودى بحياة هذا البارون سوف يظل محفورا فى ذاكرة الجميع . إن البعض قد شاهد فعلا الجثة التى نقلت بطريقة خفية داخل « بلاكار » فى ليلة شؤم عاصفة . ماذا يلزم أكثر من ذلك لكى يبدأ البارون حياة جديدة فى أرض الله الواسعة خاصة وهو الوجيه الولهان ، العاشق للحرية ، لكى يصطاد كما يشاء السمور ذا الوبر الطويل الذى يرعى فى ولايه أوكلا هوما . تلك هى المكيده التى حاكها البارون ليلوذ بالفرار إلى الأبد بصحبة « مس إيسيبيه » حاملا معه سبائكه الذهبية فى حقيبة سفره تاركا وراءه أرملا حزينة بلا سلوى .

والآن ، فلنلذ نحن أيضا بالفرار. لقد كسبنا المعركة ! ... بشرط أن يصلنى الشيك ! فأنا لا أثق كثيرا بالحمام الزاجل .

(يأخذ من البلاكار قميصه وكاسكتته المربعات ، يرتديهما ويختفى فى هدوء من جهة اليمين من الناحية نفسها تظهر عاملة الحجرة الاولى)

عاملة الحجرة الأولى (وقد لمحت البلاكار فارغا)

شئ طبيعى ! البلاكار فارغ ! هذا ما كنت أتوقعة ! إنها جثة قوية الساقين ! لم يكن كل ذلك سوى مهزلة ساخرة ! آه ! ما أغبى البارونه إذ تصدق كل ذلك .

(تختف من جهة اليسار . المنصة تظل خالية لحظة . يسمع من جديد لحن الفالس)

عاملة الحجرة الثانيه (تظهر من جهة اليسار وهى توجه الحديث إلى شخص داخل الكواليس)

إيه ! سيدتى المسكينة ! تعالى من هنا ! لا تخافى ! سترين أنه لم يعدهناك بارون ولا جثة ! آه ! لابد وأن زوجك الآن بعيد ، بعيد . وفى أتم صحة وعافية . أوكد لك ذلك ! .. (موجهة الحديث إلى جمهور المشاهدين) يا الهى ! كنت أشك فى شئ معين ولكننى لم أحاول أن أقول أى شئ ، أى شئ .

(تخرج من جهة اليمين)

البارونة ز ... (وهى داخلة من جهة اليسار وتجتاز المنصة فى كآبة ظاهرة)

كان ذلك يوم سعادتى الوحيد ! لقد تحطم إلى الأبد وغرق فى خضم الأسرار والوحدة ! وأسفاه ! سأظل طول حياتى أتذكر هذه الأسية الراقصة ! ... فى ذلك المساء ، كان هناك جمهور غفير فى القصر ! ...

(تختفى من جهة اليمين بينما يُسمع لحن الڤالس خافتا)

ســـــتارة

* * *

هم وحدهم يعرفون الموضوع
Eux seuls le savent

الشخوص

ڤيكتور ، في الخامسة والثلاثين
سيمون ، في الثلاثين
جوستان ، في الثامنة والعشرين
جانين ، في الواحدة والعشرين
المذيع

(المشهد يجرى فى حجرة استقبال بورجوازية . أريكة ، مقاعد وثيرة ، مكتب بأدراج تغطيه أوراق وأشياء مختلفة ، الخ . فى اقصى المنصة ، نافذة وباب .)

المذيع (أمام الستارة)

كان هناك كاتب شهير من كتاب القرن التاسع عشر - احتراما لذكراه ، نتمسك بعدم ذكر اسمه - ترك بين أعماله التى نشرت بعد وفاته هذه الكوميديا التى سنقدمها إليكم بعد قليل .

هذا الكتاب الكبير كان من عادته أن يقول إن من المستحسن بالنسبة للمشاهدين أن يتابعوا موضوع المسرحية دون أن يتوصلوا إلى ادراك الدوافع الحقيقية التى وراء هذا الموضوع .

هل ذلك راجع الى عجز يتعلق بالفن المسرحى ؟

هل ذلك لأن حياة الاخرين ، على خشبة المسرح كما هى فى الواقع ، قلما تفضى إلينا بأسرارها ؟

هل ذلك لأن شخوص المسرحية - خاصة فى الأعمال التى نصفها ، بالواقعية ، يعتقدون أن من الضرورى أن يهتموا بشئونهم هم فقط ، دون الاهتمام بشئون المتفرجين ، وهو موقف يفتقر إلى الكياسة واللياقة ؟

وأخير ، هل يرجع ذلك إلى أن المؤلفين يسيئون استغلال وضعهم المتميز ويصرون على جعلنا فى حالة تعتيم وتعمية ؟

هذه قضايا كثيرة قد تثيرون بعضها أثناء مشاهدتكم أو استماعكم لمسرحية هم وحدهم يعرفون الموضوع ، ومن خلال محاولتكم إدراك ما يجرى خلالها .

(المذيع يختفى . الستارة تفتح . هيكتور وسيمون واقفان فى منتصف المنصة ، فريسة مناقشة حادة . هكتور يذرع المكان جيئة وذهابا فى توتر وعصبية . سيمون تتابعه بعينيها وبنظرات عدائية .
ستائر النافذة نصف مسدلة . الحجرة غارقة فى نور خافت)

هكتور

أوكد لك أننى لن أقع بهذه السهولة .

سيمون

كلام يقال بسرعة !

هيكتور

وهو فعل أسرع أيضا !

سيمون

انا اتحداك .

هيكتور

هذا ما ستراه .

سيمون (تهز كتفيها استخفافا)

لو كنت مكانك لا نسحبت على الفور .

هيكتور (قافزا)

أنسحب ، أنا ! بعد كل ما حدث ! أبدا ، هل تسمعين ، أبدا ! ... وأنت التى تقدمين لى هذه ... هذه النصيحة ... آه شكرا ، حقيقة !

سيمون

أحذرك للمرة الأخيرة : أنت تسير فى طريق مسدود . وسوف تندم ، أجل ستندم ، أؤكد لك .

هيكتور

وأنا أوكد لك أن الموضوع لن يقف عند هذا الحد ! وإلا هان كثيرا ! ... كثيرا فعلا ... كلا ، هذا غير معقول ! إن من يسمعك ، يعتقد أنك ضالعة فى الموضوع ! ... كلا ، ثم كلا . هل تريدين أن أقول لك : أنت لا علاقة لك بالموضوع البتة ، البتة ، البتة . وليس من المطلوب منك إلا شئ واحد : أن تلزمى الصمت وتتركينى أتصرف وحدى .

سيمون

كلا ، لن ألزم الصمت . فأنا أعرف أننى على حق وأريد أن اجعلك تذعن للواقع وللحقيقة ! لا تحاول ...

هيكتور (غاضبا)

اسكتى ، من فضلك .

سيمون (مكملة)

لا تحاول أن تفرض على السكوت . إننى شريك فى الموضوع مثلك تماما .

هيكتور

كذب ! أنا أعرف ما ينبغى أن اقوم به .

سيمون

كلا ، أنت لا تعرف شيئا ! فى حين أن من واجبى ، هل تسمع ، من واجبى أن أعرفك . أنا أريد ألا يبقى أى شئ فى الظل !

هيكتور

أنا أعرف ما أعرف .

سيمون (تهز كتفيها استخفافا)

دائما ، هذه الكلمة فى فمك ! وفى النهاية أيها البائس المسكين ، ماذا تنوى ان تفعل فى هذا الوضع الذى تردينا فيه ؟ أكرر لك أنك لا تعرف شيئا ، لا تعرف شيئا على الاطلاق .

هيكتور

هذا هو ما يخدعك : حينما أقول إننى أعرف ما أعرف ، فذلك أننى أعرف فعلا ما أعرف ! ... على عكسك تماما . أما أنت ، فدائما أبدا ....

سيمون (بصوت كالصغير)

أكمل ، أكمل إذن ، أرجوك .

هيكتور

لا ، لن أقول ذلك ، فهذا منتهى الغباء !

سيمون (ساخرة)

لست أنا التى قلتها .

هيكتور (غاضبا على حين فجأة ومتخذا قرارا)

آه ، حتى هنا وكفى ! كل شئ معك أصبح غير ممكن .

سيمون

فعلا ، كل شئ غير ممكن ، مما هو مستحيل . هذا على الأقل ، أنا واثقة منه . أرجوس الا يغضبك هذا .(هيكتور يتوجه ناحية الباب .) أرجو الا تذهب إلى « هناك » .

هيكتور (ويده على قبضة الباب)

ليس من المطلوب منى أن أقدم لك كشف حساب .

سيمون (وهى تمنعه من الخروج)

بالعكس . إنى أطالبك بأن تقدم لى تفسيرا . والان ! فوراً .. إلى أين أنت ذاهب ؟

(يبعدها بحركة عنيفة)

سيمون

إنه يعاملنى بغلظة الآن ! ... الوحش ! الصفيق ! الجلاد ! (هيكتور يخرج دون أن يقول كلمة ويصفق الباب خلفه . سيمون تبقى وحدها ، تذرع الحجرة جيئة وذهابا .. تمتثل للهدوء شيئا فشيئا) هيا ! هدوءاً ! هدوءاً! ما فائدة التوتر ! ... علينا بالتفكير ! ... واحد من اثنين : إما أن يختار الحل الأول ، واما ان يختار الحل الثانى . فى الحالة الاولى هناك أضرار بالغة ... وكذلك فى الحالة الثانيه ... وبطبيعة الحال إذا تساوت الأضرار تساوت المصالح ... ومع ذلك ... لست أدرى ما الذى يقول لى إن .... ولكن لعل ذلك مجرد وهم لا أكثر ! ... إذا ذهب ... ولكن كلا ، كلا ، من غير المعقول . (جرس الباب يرن . سيمون تذهب وتفتح الباب . يدخل « جوستان » . سيمون تتغير فى الحال وتصبح لطيفة) آه ! جوستان ! وصلت فى الوقت المناسب . كنت أنتظرك . !

جوستان (مندهشا ولكن باسما)

ومع كل ، فلم أكن أنوى الحضور .

سيمون

أقصد أننى ... كنت آمل فى حضورك ... (فى ود) اجلس هنا بجوارى ... أريد نصيحتك : إننى فى حيرة فظيعة !

(يجلس فوق الأريكة)

جوستان (بعد أن جلس بجوارها)

والآن ... كيف حدث ذلك ؟

سيمون

هكذا بلا مقدمات . ثم خرج .

جوستان

آه ! لقد ذهب إلى هناك اذن ؟ هكذا كان ظنى ... الواقع ، لم يكن أمامه الا هذا الطريق .

سيمون

نعم ، ولكن لا شئ يؤكد لى أنه لن يعود .

جوستان

يعود ، هذا أيضا طريق آخر ... (بعد تردد ، بصوت خفيض) و ... « هناك » ؟

سيمون (تهز كتفيها)

« هناك » ؟ لم أعد أسمع أى كلام . يذهبون ويجيئون ، بين هذا وذاك ، ويتخذون القرارات الخطيرة ، ثم يترددون فى آخر لحظة وفى النهاية ، لم يتم شئ ... الحقيقة اننى أعتقد أنهم لا ينوون عمل شئ ذى بال ...

جوستان

كما هم دائما ! ومع ذلك فقد نصحتهم بالحذر . ولكنهم لم يأخذوا ذلك فى الاعتبار .

سيمون

يا صديقى المسكين ! أنت كنت واهما ! أما أنا ، فمع هؤلاء الناس ، بدأت أدرك كل ما ينبغى عمله ... اسمع ، إذا أقسمت لى على كتمان السر ، فسأريك شيئا يفيدك ... ولكن هل تعدنى بألا تخبر أحدا بذلك ؟

جوستان

طبعا !

سيمون

عدنى بذلك ، عدنى ؟

جوستان

عجبا ياعزيزتى سيمون ! ولكننى لن أخبر أحدا بذلك على الاطلاق . كيف تشكين فى كتمانى للسر ؟

سيمون

هذا صحيح ! سامحنى ! آه ، أنت بالنسبة لى مصدر عون كبير ! الانسان معك ، يستطيع أن يتحدث بصراحة ، فى وضح النهار . (تنهض . تذهب لتحضر خطابا من أحد ادراج المكتب ، وتعود لتجلس بجوار جوستان . تقدم الخطاب لجوستان)

خذ ، خذ !

(جوستان يقرأ الخطاب فى صمت ويبدو مذعورا)

سيمون (وهى تحاول أن تقرأ على وجهه)

هيه ؟ ماذا تقول فى ذلك ؟ أليس شيئا غريبا لا يمكن تصديقه ؟

جوستان

أوه ! ... هذا غير معقول ! ... كيف يمكن أن نصل الى هذا الحد ؟ ... الانسان لا يصدق عينيـــه !

سيمون

الآن أدركت لماذا أردت أن يبقى الموضوع سرا ! شئ كهذا ينبغى ألا يعلم به اى إنسان

جوستان

بكل تأكيد ، أى انسان مهما كان ! بل أنت وانا نعتبر اكثر مما يجب أن يكون على علم بهذا الموضوع .

سيمون

أنت وأنا ... والذى كتب الخطـــاب .

جوستان

آه ، الذى كتبه ! لو وقع فى يدى ! ثم هناك غيره أيضا . هناك الآخران ... (فى إعياء) ثم هناك ... من تعرفـــــين !

سيمون (وهى تطلق تنهيدة)

أعرف هذا جيدا ! ... (فى اندفاعة) جوستان ، عزيزى جوستان ، إلـــــى أين سيقودنا كل هذا ؟

جوستان (مقتربا)

عـجبا يا سيـمون ، أنت تعرفين جـيدا ... طالما أنا هنا ، بجـوارك ، فلن اتخلى عنك أبدا ! (يمسك يدها ، تستسلم ، مـتأثرة ... جوستـان مكملا :) طالما هناك شعاع .. شـــعاع من الأمل ، فسأكافح بكل إخلاص وولاء حتى يعود كل شئ الى سابق عهده .

سيمون (حزينة)

يا عزيزى جوستان ! الماضى ، هو الماضى !

(تجهش بالبكاء)

جوستان (وهو يضغط على الكلمات)

يمكن أيضا أن يكون المستقبل ! ... (محاولا التخفيف عنها) هيه ! هيه ! .

يا صديقتى العزيزة ! لا تستسلمى لمثل هذه الحالات ! ما الفائدة ! ... ما دمت أقول لك إننى هنا !

(يداعب يدها فى رقـــة)

سيمون (وهى تجفف دموعهـــا)

هذا صحيح ! ... ينبغى أن تردد ذلك على مسمعى حتى أصدق .

جوستان

أجل ، أنا هنا ، كما ترين جيـــدا .

سيمـــــون

جميل أن أعـرف ذلـــــــك .

جوستان (وهويترك يد سيمون)

والآن ، يا سيمون ، والآن وقد عرفت اننى هنا ... ينبغى أن أذهب .

سيمون

بهذه السرعة ؟ ولكننا لم نقل كل شئ .

جوستان

طبعا ! ولكن يكفى أن اراك ، حتى أعرف الكثير ، أكثر مما تظنين .

سيمون

ربمـــا ...

جوستان (جادا)

نعم . على أيـــة حال ، أنت تعرفين ما جاء بى . وتعرفين مـا يستبقينى ، ولكنـــك تعرفين أيضا ما يضطرنى للانصـــراف .

سيمون

هذا صحيح ... نسيت ذلك ... ولكنك ستكون قويا ، هل تعدنى بذلك ؟

جوستان

سأكـون قويا ... من أجلـــــك .

سيمون

يجب أن تكون قـويا أيضـــا من أجل الآخـرين ... من أجلهـا بـالذات ! ... ولكن ينبـغى الا تتهـور .

جوستان

لن أتهـور . أعدك بذلك . سأكون قويا . ولكن حــــذار ...

سيمون

إذن ، لقد اطمآن قلبى . وبوسعى أن أتركك تنصرف .

(ينهضان . تصحبه فى بطء إلى البـــاب)

جوستان (مهيبا)

سيمون ، لا اريد أن أنصرف دون ...

(يشير بيده إلى ركن من أركان الحجـرة)

سيمون

لك ما تريد . هيا ! أنت تعرف الطريــــق .

جوستان

شكراً .

(يقبل يدها طويلا ويخرج .

(سيمون تجلس فوق الأريكة وتمكث لحظة حالمــــة .

(بعد لحظـــة . يفتح الباب . تدخل «جانين» ، شاحبة جدا ، فى ثوب البيــت .

(روب دى شامبر) . تسير بصعوبة . سيمون حينما تراها ، تنتابها رجفة) .

سيمون

هل نهضت من الفراش ؟ هذا جنـــون .

جانين (بصوت ضعيف)

لماذا فعلت ذلـــك ؟

سيمون

أجيبنى أنت أولا ! لماذا نهضت ؟ تعرفيـــن جيدا أن الطبيب ....

جانين (بهدوء رهيب)

لماذا فعلت ذلـــك ؟

سيمون

ولكن ... لأنه كان ينبغى ذلك .

جانين

ألا تعرفين إذن أنه كان من الممكن أن تقتلينى

سيمون

أنا لم أفكر إلا فى صحتـــك .

جانين

الاجابة الجميلة ... إليس هنــاك الا الجسم !

سيمون

الجسم أولا : الباقـــى يأتى بعد ذلك .

جانين (ساخرة)

انظروا معى إلى هذه السيدة المثالية !

سيمون

ثم ... إننى ظننت أن فى ذلك ما يسعدك .

جانين (وهى تنهار فوق احد الكراسى)

أكرر لك أنك كان من الممكن أن تقتلينى ! ... أنت إذن التى أرسلته إلى ؟

سيمون

كان ينبغى أن يراك .

جانين

دعـــك من ذلك ! أنت لم تفكرى إلا فيـه . اعتـرفى بذلك . يجب أن تعتـرفى بذلك . الآن يمكن أن يذهب فى هدوء . أما أنا فسأبقى مع هذه الذكرى .

سيمون

إذا كانت ذكرى ، فلم يتغير شئ : كانت لديك قبل رؤيتــه .

جانين (بقسوة)

لا تتلاعبى بالألفاظ ! نحن وحدنا وممكن أن نتحدث بلا دوران ، بوضوح ، وجهــا لوجه ! .. وفى النهـاية ، فى النهـاية سـأعـرف كل شئ .. ربما أمـوت بسـبب ذلــك ، ولكن السـر سيكون قد انكشف .

سيمون

لن تعرفـــى شيئا .

جانين

قلت لك إننى ربما أموت بسبب ذلك . ولكن على الأقل . قبل أن أموت سأكون قــد انتزعت منك السر ! .. آه ، الجو هنا خانق ! ...كلام ، دائما كلام ، أما الحقيقة ، فلا . الحقيقـة ، هل تسمعين يا سيمون ، أنا أريــد الحقيقــة كاملة .

سيمون

ليس هناك سر ، والحقيقـة ليست لك ولا لى . أنا لا أعرف شيئا . لقد سبق أن قلت لك ذلك ! ... أيتها المجنونة المسكينة ! كيف أتمكن من مساعدتك على الفهم ، ما دمت أنا نفسى لا أفهم من الموضوع شيئا .

جانين (وهى تنهض بمجهود)

حسنا ! إذا كان الأمر كذلك فأنا أعرف ما بقى على أن أعمله .

(تتوجه بصعوبة نحو الباب)

سيمون (تنهض دفعة واحدة)

أما هذا فلا . لن تفعلى ذلك .

جانين (بهدوء اليائسه)

هل تعرفين فقط ما أريد ان أفعله ! .. انا أيضا عندى سرى .

سيمون

لا أعرف شيئا ، ولكنى أخمن . أمآ هذا ، فلا ، هل تسمعين ! لا ! طالما أنا على قيد الحياة ، فسأعارض ذلك .

(المرأتان كل منهما تتفرس الأخرى لحظة فى عدوانية)

جانين

حسنا اذن بقى أمامى حل آخر .

(تستجمع كل طاقتها وتندفع نحو المكتب . وقبل أن تتمكن سيمون من منعها ، تخرج مسدسا) .

جانين (دون أن تصوب على أحد ، لكنها تحتفظ بالسلاح فى وضع الاستعداد)

إذا لم يستطع أى شئ أن ينتزع منك السر ، لا الإقناع ولا الحب ، فاعلمى على الأقل أن إحدانا ستخفى من الوجود قبل أن تغادر الأخرى هذه الحجرة

سيمون (تنقض على جانين وتحاول ان تستولى على المسدس)

أنتِ مجنونة ! أتركى هذا السلاح ! فورا !

(يسمع رنين الهاتف . تتطلع كل منهما إلى الأخرى فى ذهول)

جانين

لا يمكن أن يكون إلا هو .

سيمون (بضحكة عصبية)

أو هى .

(تتجه إلى الهاتف ، ترفع السماعة وتنصت ، قلقة)

سيمون

نعم ... آلو ... نعم ، أنا ! (بصوت خفيض لجانين) هذا هو ... آلو ، ماذا تريد منى ؟ ... ماذا ؟ .. هيه ؟ ... (وجهها يعبر فجزة عن دهشة تشوبها السعادة) هل أنا أسمعك جيدا ؟ ... تقول إن .. كل شئ انتهى على ما يرام ؟ ... بصوت خفيض لجانين) أعيدى هذا المسدس بسرعة ! ... (جانين تطيع وتذهب فتضع المسدس فى درج المكتب) ...ولكن هذا غير معقول ! ... آلو .. نعم ... لا ! ... بسبب سائق سيارة النقل ؟ ... مستحيل ! ... (وهى تضع السماعة بصوت خفيض لجانين :) بسبب سائق سيارة النقل ! ... (ترفع السماعة من جديد .) إذن ، تعال بسرعة ! ..

نعم نحن فى انتظارك . نعم ... جانين هنا ، بجوارى ... ماذا ؟ ... نعم ، كانت تشعر بالضيق ، فسمحت لها بالنهوض لحظة ! ... لا ، الطفل بخير . تعال بسرعة !

(تضع السماعة تنهض وتعانق جانين)

سيمون

حبيبتى جانين ! انتهى كل شئ على ما يرام . سيأتيان هما الاثنان .

جانين (تكاد أن تبكى من الفرحة وتنهار فوق الأريكة)

عجيبة ! ... !ذن لماذا ؟ ...

سيمون

أسكتى ! اسكتى ! كل ذلك لن يصبح أكثر من ذكرى بغيضة . خذى ، لكى لا تفاجئيهما، ضعى قليلا من المساحيق فوجهك يبدو شاحبا ، يا صغيرتى المسكينة ! (تقدم لها حقيبتها) أسرعى ، فهما على وشك الوصول ! (جانين تسرع بوضع المسحوق على خديها والأحمر على شفتيها فى حين تذرع سيمون الحجرة جيئة وذهابا وهى مضطربة ، ترتب بعض الأشياء ، تذهب إلى النافذة ، تفتح الستائر . نور النهار يغمر الحجرة .

(يسمع جرس الباب سيمون تفتح . يدخل هيكتور ثم جوستان . تبدو عليهما السعادة . **جوستان** يحمل باقة زهور وهيكتور يحمل لفافة)

هيكتور (وهو يندفع إلى أحضان سيمون)

عزيزتى سيمون ! حبيبتى ! ... من كان يصدق أن الأمور كانت ستسير فى هذا الاتجاه ! ... (يقدم لها اللفافة) خذى ! انظرى ! لقد أحضرتها لك . !

سيمون (فى قمة السعادة)

كيف وجدتها ؟

هيكتور

سأحكى لك الحكاية فيما بعد .

جوستان (وهو يقدم الباقة لجانين)

هذه لك يا جانين ! ... (فى رقة) ... ألا يذكرك هذا بشئ ؟

جانين (وهى تاخذ الباقة ، متاثرة)

طبعا ، طبعا !

جوستان (وهو ياخذ جانين إلى جهة اليمين)

هذا سّرنا ! ... تعالى ، يا جانين ! لا ينبغى أن يفهما !

هيكتور (وهو يزخذ سيمون إلى حهة اليسار)

تعالى ! لا ينبغى أن نخبرهما ! ... ربما يفهمان فى يوم من الايام .

ســتارة

* * *